بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟
فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ
قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟
ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟
إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

سورة النساء

سورة النساء مدنيّة وآياتها ستّ وسبعون ومائة آية، ويقال لها: سورة النساء الكبرىٰ، كما يقال لسورة الطلاق: سورة النساء الصغرىٰ، وهي أطول سورة في القرآن بعد سورة البقرة، وقد حفلت بجل أمور العباد من تكاليف دنيوية وأخروية.

[١] أمر جل وعلا جميع البشر مؤمنهم وكافرهم أن يخافوا ربهم الذي أنشأهم من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه السلام، وخلق من آدم زوجه حواء، ونشر منهما في الأرض خلقًا كثيرًا رجالًا ونساءً، وهذا الأمر يتناول جميع الناس الموجودين في وقت نزولها ومن بعدهم إلىٰ يوم القيامة، ثم أمرهم سبحانه أن يراقبوا ربهم الذي يسأل به بعضكم بعضًا، وحذرهم أن يقطعوا أرحامهم لأن في قطعها فسادًا كبيرًا وخللًا عظيمًا في حياتهم، واعلموا أن الله مراقب لأعمالكم، وسيجازيكم عليها؛ لذا ينبغي للمؤمن أن يتقي ربه ويستشعر أنه لا يغيب عن مراقبته. وفي قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾، هذه تحكي حالهم في الجاهلية؛ فإن أحدهم يقول لصاحبه: أسألك بالله وبالرحم إذا كان من أسرته أو قبيلته، أما بعد الإسلام فقد حرَّم الله السؤال بغيره؛ سواء كان رحمًا أو أي شيء معظم عندهم. قال بعض المفسرين: **الأرحامَ**: بفتح الميم تعني: الأمر بعدم قطيعة الرحم؛ فيكون تفسيرها: اتقوا الله واتقوا الأرحام لا تقطعوها؛ **أما الأرحامِ**: بكسر الميم في قراءة حمزة، فتكون قَسَمًا، أي: الذي تسألون به وبالرحم. [٢] ثم أمر سبحانه بالتواصي باليتيم الذي مات والده قبل سن البلوغ، وأمر الأولياء أن يعطوا اليتامىٰ أموالهم إذا عرفوا منهم القدرة علىٰ حفظها، أو بلغو الرشد، وأمرهم أن يتقوا الله في أموالهم بعدم استبدال الجيد منها بالرديء؛ لما في ذلك من الضرر والخيانة لليتيم، ونهاهم أن يخلطوا أموال اليتيم مع أموالهم إذا كان لقصد الإضرار؛ فمن خلطها بقصد الإضرار فقد ارتكب إثمًا كبيرًا، وأما إذا كان لقصد الإصلاح والتنمية فلا بأس بذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠].

[٣] ثم قال جل وعلا: وإذا خفتم أيها المؤمنون أن لا تقوموا بحق النساء اليتامىٰ اللاتي تحت ولايتكم بأن لا تعطوهن حقهن في المهور إذا تزوجتموهن فعليكم أن تتزوجوا غيرهن من النساء مثنىٰ أو ثلاث أو رباع؛ فإذا خفتم ألا تعدلوا وخشيتم من الجور معهن فاكتفوا بواحدة من النساء، أو بما تملكون من الإماء، وهذا أقرب للعدل وعدم الظلم. وقوله: ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾، من العول، وهو الظلم، أو من العيلة، وهو الفقر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحىٰ:٨]. [٤] ثم أمر جلّ وعلا عباده المؤمنين أن يعطوا النساء حقهن من المهور التي فرضها الله علىٰ الرجال لأزواجهم؛ فإذا سمحت الزوجة بشيء من مهرها سواء لزوجها أو لغيره بطيب نفس منها فلا حرج أن تأخذوه حلالًا طيبًا. [٥] ثم نهىٰ جلّ وعلا أولياء الأمور أن يعطوا أموال اليتامىٰ للسفهاء الذين لا يعقلون ولا يرشدون، وذلك خشية إفسادها وإضاعتها في غير وجهها، وعبر في الآية بقوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾، وهي في الحقيقة أموال اليتامىٰ، بدليل قوله في الآية التالية: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾، والمقصود: اجعلوها كأموالكم في العناية بها والمحافظة عليها وتنميتها؛ ثم أخبر سبحانه أنه جعل هذه الأموال قيامًا لعباده في مصالحهم الدينية والدنيوية؛ وأمر الأولياء أن ينفقوا عليهم ويكسوهم من هذا المال، وأن يبذلوا منه كل ما يتعلق بحياتهم الدينية والدنيوية، ثم أمر الأولياء أن يلينوا في القول مع اليتامىٰ ويقولوا لهم كلامًا طيبًا. [٦] ثم أمر جلّ وعلا باختبار من تحت أيديكم من اليتامىٰ، وذلك بتدريبهم علىٰ إدارة أعمالهم شيئًا فشيئًا حتىٰ يُعرف أنهم لن يفرطوا فيها؛ فإذا وصلوا سن النكاح وعلمتم منهم حسن التصرف والتدبير في أموالهم فسلموها إليهم، ولا يحق لكم أن تأكلوا أموالهم علىٰ وجه الإسراف والسرعة قبل أن يكبروا حتىٰ لا يطلبوها إذا كبروا، ومن كان غنيًّا فليتعفف عن أموالهم ولا يأخذ منها شيئًا، ومن كان فقيرًا فليأخذ بقدر الحاجة؛ فإذا سلّمتم إليهم أموالهم؛ بعد التأكد من أنهم قادرون علىٰ حفظها؛ فأشهدوا عليهم حتىٰ لا يأتي أحدهم فينكر أنه استلم شيئًا من ماله، واعلموا أن الله شاهد ورقيب عليكم، ومحاسبكم علىٰ جميع أعمالكم.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي
أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن
كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

[٧] فرض جل وعلا للذكور نصيبًا مما ترك الوالدان والأقربون من المال، وأيضًا فرض للنساء نصيبًا مما ترك الوالدان أو الأقربون من المال، قليلًا كان أو كثيرًا، وهذا النصيب فرضه الله وحدده لكل وارث. وهذه الآية تعتبر تحويلًا بالأمة المسلمة عمَّا كان سائدًا في الجاهلية: أن الميراث يأخذه الذين يدافعون عن القبيلة ويحمونها، أما النساء والصبيان فلا نصيب لهم من الميراث؛ فلما جاء الإسلام قضىٰ علىٰ هذه الجاهلية، وحدد لكل وارث نصيبه.

[٨] يأمر جل وعلا الورثة أن يعطوا أقرباء الميت الذين لا يرثون، أو بعض اليتامىٰ والمساكين الذين يحضرون التقسيم شيئًا يسيرًا من المال قبل قسمة التركة بما لا يضر بالورثة، وهذا من باب الإحسان وصلة الرحم للميت؛ وهو علىٰ وجه الاستحباب وليس الوجوب؛ فإذا تعذر العطاء لأن في الورثة يتامىٰ أو سفهاء؛ فعليهم أن يردُّوهم بكلمة طيبة واعتذار جميل تطييبًا لنفوسهم.

[٩] ثم أمر جلّ وعلا الأوصياء علىٰ اليتامىٰ أن يخافوا الله فيهم، ويتذكروا حال أولادهم إذا ماتوا وتركوهم يتامىٰ وضعفاء، هل يرضون لهم الذل والإهانة؟! فلذا عليكم أيها الأوصياء أن تخافوا الله في من تحت أيديكم من اليتامىٰ، وعليكم أن تخاطبوهم كما تخاطبون أولادكم بعبارات اللين والعطف والحنان.

[١٠] واعلموا أيها المؤمنون أن الذين يعتدون علىٰ أموال اليتامىٰ، ويأخذونها بغير حق مباح؛ إنما يأكلون في بطونهم نارًا والعياذ بالله؛ وسيكون مصيرهم نارًا هائلة مستعرة لا تطاق، وفي هذا وعيد شديد للذين يعتدون علىٰ أموال اليتامىٰ ظلمًا وعدوانًا.

[١١] هذه الآية توضيح وتفصيل للآية رقم (٧) السابقة، وهي قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ...﴾.

وقد بدأت الآية بوصية الآباء بالأبناء، وهذه هي المرة الوحيدة التي أوصىٰ الله فيها الآباء بالأبناء؛ لأن محبتهم وعنايتهم بأبنائهم طبيعية جِبِلِّيَّةٌ منذ الطفولة؛ بل من قبل ذلك؛ حيث يختارون الأم ذات الصلاح والنسب، أما الأولاد فأوصاهم الله بآبائهم مرات كثيرة؛ قريبًا من عشر مواضع؛ لأن اهتمام الأولاد بآبائهم وأمهاتهم تكلُّف، لذا كرر سبحانه وصية الأبناء بالآباء كثيرًا؛ بل جعل ذلك بعد الأمر بالتوحيد مباشرة؛ لأن الأبوين هما السبب الثاني لإيجاد الأبناء، وجحودهم أو هجرهم والتقصير بحقهم، سوف يكون جحودًا، وربما يكون كفرًا بالذي أوجدهم أولًا، وهو الله جلَّ في علاه.

ثم بدأ جل في علاه ببيان ميراث الأولاد، فأخبر أنه إذا مات أحدكم وترك أولادًا ذكورًا وإناثًا؛ بعد أن يُحصىٰ ماله، وتُقضىٰ جميع ديونه، وتنفذ وصيته إن كانت لا تزيد عن الثلث؛ أن يُقسم ما تبقىٰ من الميراث بين أولاده للذكر ضعف الأنثىٰ إذا لم يكن هناك وارث غيرهم، وقد بين العلماء سببَ أن للذكر ضعف الأنثىٰ؛ لأن الذكر عليه التزامات مالية كثيرة، كالمهر، والنفقة، ومصروفات الأسرة ونحو ذلك، في حين أن الله سبحانه لم يلزم الأنثىٰ بأي نفقات نحو الرجل أو الأسرة؛ ثم أخبر سبحانه أن الميت إذا ترك نساءً فقط، وكن بنتين فأكثر فلهن ثُلُثا التركة؛ وإذا كانت ابنة واحدة فقط فلها نصف التركة؛ فإذا كان للميت ولد واحد فأكثر ذكرًا كان أو أنثىٰ؛ فلوالديه لكل واحد منهما السدس؛ فإذا لم يكن له ولد وورثه والداه فقط فلأمه الثلث ولأبيه الباقي؛ فإذا كان للميت إخوة اثنان فأكثر، ذكورًا أو إناثًا فلأمه السدس وللأب الباقي ولا شيء للأخوة، أما إذا كان له أخ أو أخت واحدة فقط فلأمه الثلث وللأب الباقي ولا شيء للأخ أو الأخت، وهذا هو القول الراجح، واعلموا أن هذا التقسيم الذي ذكرناه إنما يكون بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من الديون، ثم اعلموا أيها المؤمنون أن آباءكم وأبناءكم الذين فرضنا لهم هذا الإرث لا تعرفون أيهم أقرب لكم نفعًا في الدنيا والآخرة؛ ولهذا تولىٰ المولىٰ عز وجل تقسيم المواريث بنفسه؛ حتىٰ لا تضيع الحقوق، ويحصل الظلم بين الناس؛ فإنه جلّ وعلا عليم بخلقه، حكيم فيما شرعه لهم.

* وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ
وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ
مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ
بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۙ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

[١٢] وهذه الآية توضيح وتفصيل لحق الأزواج والكلالة؛ حيث بين فيها سبحانه الميراث بالمصاهرة وهما الزوج والزوجة.

فأخبر أن الزوجة إذا ماتت وتركت مالًا، ولم تترك ولدًا من زوجها الذي ماتت عنه، ولا من زوج آخر غيره؛ فإن الزوج في هذه الحالة يأخذ نصف التركة.

أما إذا ماتت الزوجة وتركت ولدًا من زوجها الذي ماتت عنه، أو كان لها ولد من زوج آخر غيره؛ فإن الزوج يأخذ ربع التركة.

ثم بين سبحانه أن هذا التقسيم يكون بعد إخراج الوصايا التي ليس فيها ضرر علىٰ الورثة، وتسديد الديون المتعلقة بالميت.

أما إذا مات الزوج وترك زوجة واحدة فأكثر؛ فإنها تأخذ ربع التركة إذا لم يكن له ولد.

أما إذا مات الزوج وكان له ولد؛ فإن الزوجة تأخذ ثمن الميراث.

ثم بين سبحانه أن هذا التقسيم أيضًا يكون بعد إخراج الوصايا التي ليس فيها ضرر علىٰ الورثة، وتسديد الديون المتعلقة بالميت.

فإذا مات الرجل أو المرأة، وليس لهم أصول أو فروع أحياء، أي: قد مات آباؤهم وأجدادهم، وليس لهم أولاد، ولا أحفاد، لا ذكور ولا إناث؛ فإنه يسمىٰ أو تسمىٰ في هذه الحالة كلالة؛ حيث لا يرثه إلا أخ لأم أو أخت لأم، فيكون في هذه الحالة لكل واحد منهما السدس.

فإذا كان الأخوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث، يقسم بينهم بالتساوي للذكر نفس حظِّ الأنثىٰ.

وقد أجمع العلماء أن المقصود بقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾، أي: الأخ لأم أو الأخت لأم، أما الإخوة الأشقاء أو الأخوة لأب فقد وضح سبحانه نصيبهم في آخر آية من هذه السورة.

ثم بين سبحانه أن هذا التقسيم يكون بعد إخراج الوصايا التي ليس فيها ضرر علىٰ الورثة، وتسديد الديون المتعلقة بالميت، أما الوصايا التي فيها ضرر علىٰ الورثة، بأن يكون قد أوصىٰ بأكثر من الثلث، أو أمر بحرمان بعض أقاربه وهكذا؛ فلا يجوز تنفيذها.

واعلموا أيها الناس أن الله أوصاكم بهذا، وهي وصية نافعة لكم، والله عليم بما يصلح الخلق، وهو حليم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه.

[١٣] ثم أخبر جلّ وعلا أن الأحكام والمقادير التي حددها في هذه الآيات لا يجوز لأحد تجاوزها، واعلموا أن من يطع الله ورسوله في هذه الأحكام وغيرها؛ فإن جزاءه عند الله أن يُدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين مخلدين في نعيمها أبد الآبدين، وذلك هو الثواب العظيم من الله.

[١٤] واعلموا أيها الناس أن من يتعدىٰ هذه الحدود المقدرة، ويعصي الله ورسوله فيها، ولا يعمل بها، ويتجاهلها، وربما سخر منها، واستهزأ بأحكام الله فيها وفي غيرها، ومات علىٰ ذلك؛ فإن جزاءه جهنم، خالدًا مخلدًا فيها، وله عذابٌ شديد؛ فيه ما فيه من الإهانة والإذلال.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ
أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥
وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا
فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩

[١٥] يخبر جل وعلا أن النساء اللاتي وقعن في هذه الفاحشة القبيحة، وهي فاحشة الزنا؛ فعليكم أن تستشهدوا عليهن أربعة رجال مؤمنين صادقين؛ فإن شهدوا وأثبتوا ذلك عليهن؛ فيجب عليكم أن تحبسوهن في البيوت حتىٰ يأتيهن الأجل، أو يحكم الله فيهن، ويجعل لهن طريقًا للخلاص.

وقد فسر الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله الفاحشة في هذه الآية بأنها: السحاق، وهو أن تجامع الأنثىٰ أنثىٰ مثلها.

[١٦] ثم أخبر جل وعلا أن اللذين يقعان في فاحشة الزنا؛ فعليكم تأديبهما وضربهما؛ حتىٰ يرتدعا عن هذه الفاحشة القبيحة؛ فإذا أقلعا عنها، وتابا إلىٰ الله، وعملا الأعمال الصالحة؛ فاصفحوا عنهما، واتركوهما؛ فإن الله كثير التوبة لعبادة التائبين؛ عظيم الرحمة والإحسان بهم.

وقد فسر الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾: أي: واللذان يفعلان اللواط.

وقد قال جمهور المفسرين: إن هاتين الآيتين منسوختان بآية الزنا في سورة النور، وهي قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ...﴾ [النور: ٢-٣].

وهذا في الزانيين الغير متزوجين؛ حيث يجلدان مائة جلدة ويغربان عامًا، أو يُغَرَّب الرجل دون المرأة، علىٰ خلاف بين العلماء. أما المحصن فحده الرجم حتىٰ الموت، كما ثبت ذلك في السنة النبوية.

[١٧] واعلموا أيها المؤمنون أن التوبة الصحيحة التي يقبلها الله إنما تكون من الذين يرتكبون المعاصي ويجهلون عاقبتها في الدنيا والآخرة، وسرعان ما يعودون ويتوبون ويندمون ويقلعون عن الذنوب.

قال مجاهد: من عصىٰ ربه فهو جاهل حتىٰ ينزع عن معصيته، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنه. وقال أبو العالية: سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية فقالوا لي: كل من عصىٰ الله فهو جاهل، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب. وأصل السيئات: الجهل وعدم العلم.

ثم بين سبحانه أن الذين يعصون الله ثم يتوبون؛ فإنه يتوب عليهم ويتجاوز عمّا فعلوه من الذنوب والمعاصي، واعلموا أن الله عليم بخلقه، يعلم الصادق من الكاذب في توبته، حكيم في تدبيره وتقديره.

[١٨] ثم أخبر جل وعلا أن التوبة لا تكون من المصرِّين المستمرين علىٰ المعاصي؛ فإذا حضر أحدهم الأجل، قال: إني تبت الآن حين علم أن حياته انتهت، وكذلك لا تكون التوبة للذين يموتون وهم كفّار، أي: ماتوا وهم جاحدون لآيات الله ورسله؛ فهؤلاء مصيرهم النار، يعذبون فيها عذابًا أليمًا موجعًا، ومن دخل النار من الموحدين بسبب الذنوب والمعاصي فإنه بعد التطهير يخرج منها ويدخل الجنة.

[١٩] يخبر جل وعلا بما كان شائعًا بين الناس قبل الإسلام من الظلم الذي كان علىٰ النساء؛ حيث كانت المرأة تورث كما يورث المتاع؛ فإذا مات الرجل وترك زوجة فإن أكبر أولاده من غيرها أو أخاه أو ابن عمه يتصرف بها كما يشاء؛ إما أن يتزوجها أو يزوِّجها للآخرين، أو يمنعها من الزواج، وهي كارهة لهذا كله؛ فأبطل الإسلام هذا الظلم، وأصبح للمرأة عِدَّةً ونصيبًا من الميراث ونحو ذلك، ثم أخبر سبحانه أنه لا يجوز للزوج إذا كره زوجته أن يضارها لكي تتنازل عن بعض ما أعطاها من المهر، إلا إذا وقعت في أمر فاحش وسَيِّيءٍ واضح كالزنا؛ فحينئذ له الحق أن يضيق عليها حتىٰ تفتدي بشيء من مهرها حتىٰ يطلقها، أو يطلقها من غير عوض؛ بل يمتعها، وعليكم أيها الناس أن تعاشروا نساءكم بالمعروف؛ فإذا كره الزوج زوجته لسبب دنيوي وهي لم تأت بفاحشة؛ فعليه أن يصبر عليها، وأن يستمر في صحبتها والإحسان إليها؛ فربما يجعل الله في هذه التي كرهتها خيرًا كثيرًا؛ بأن تنقلب الكراهية إلىٰ محبة، أو ترزق منها بالولد الذي تقرُّ به عينك.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا
﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ
أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

[٢٠] يبين جلّ وعلا إذا أراد أحدكم أن يتزوج امرأة بدل التي طلقها، وكان قد أعطىٰ زوجته التي طلقها مهرًا كثيرًا؛ فإنه لا يحق له أن يأخذ منه شيئًا؛ لأنها استحقته بالعقد والدخول بها فصار ملكَها، واعلموا أن أخذه بغير حق بهتان وإثم عظيم، أما إذا أتت بفاحشة، أو هي كرِهت الزوج؛ فلها أن تفتدي نفسها بشيء من المال تدفعه للزوج ليطلقها، وهذا ما يسمىٰ: بالخلع.

[٢١] ثم أنكر جل وعلا علىٰ من يأخذ مهر المرأة بدون وجه حق، وقد حصلت بينهما العشرة الزوجية والاستمتاع بالجماع ونحوه، واتفقوا علىٰ ذلك بعقد النكاح الذي هو بمثابة الميثاق الغليظ بينهم.

[٢٢] ثم نهىٰ جلّ وعلا عما كانت تفعله الجاهلية من نكاح الرجل زوجة أبيه التي ليست أمه بعد وفاة أبيه إذا رغب؛ حيث كان يرثها من ضمن المتاع؛ ثم بين سبحانه أن من سبق نكاحُها في وقت الجاهلية فهو عمل جاهلي والإسلام يهدم ما قبله، واعلموا أيها المؤمنون أن هذا الفعل أمر فاحش وقبيح، والله يبغضه، وبئس ذلك طريقًا ومنهجًا لمن سلكه.

[٢٣] ثم بين جلّ وعلا النساء التي يحرم علىٰ الرجل نكاحُهن بسبب النسب والرضاع والمصاهرة، أي: يحرم نكاحُهن إما حرمة دائمة أو حرمة مؤقتة.

*** فبدأ سبحانه بذكر النساء التي يحرم نكاحهن بسبب النسب والقرابة، وهن سبع:**

١ - الأمهات، ويدخل فيهن الجدات.

٢ - والبنات ويدخل فيهن بناتهن.

٣ - والأخوات، ويدخل فيهن الأخوات الشقيقات، والأخوات من الأب، والأخوات من الأم.

٤ - والعمات، ويدخل فيهن أخوات الآباء وأخوات الأجداد.

٥ - والخالات، ويدخل فيهن أخوات الأمهات وأخوات الجدات.

٦ - وبنات الأخ ويدخل فيهن بناتهن.

٧ - وبنات الأخت، ويدخل فيهن بناتهن.

*** ثم ذكر سبحانه النساء التي يحرم نكاحهن بسبب الرضاع، وهن:**

١ - الأم من الرضاع ويدخل معها الجدات من الرضاع.

٢ - والأخوات من الرضاع، ويدخل فيهن الأخوات الشقيقات، والأخوات من الأب، والأخوات من الأم.

فهؤلاء محرمات بسبب الرضاعة، وقد ثبت في السنة أن المحرمات من الرضاعة سبع كالمحرمات من النسب؛ لقوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[1].

ولهذا يضاف علىٰ ما سبق ما يلي:

٣ - البنات من الرضاع ويدخل فيهن بناتهن.

٤ - والعمات من الرضاع ويدخل فيهن أخوات الآباء من الرضاع وأخوات الأجداد من الرضاع.

٥ - والخالات من الرضاع ويدخل فيهن أخوات الأمهات من الرضاع وأخوات الجدات من الرضاع.

٦ - وبنات الأخ من الرضاع ويدخل فيهن بناتهن.

٧ - وبنات الأخت من الرضاع ويدخل فيهن بناتهن.

*** ثم ذكر سبحانه النساء التي يحرم نكاحهن بسبب المصاهرة، وهن:**

١ - أم الزوجة.

٢ - وبنت الزوجة المدخول بها؛ لأنها تكون ربيبة، وأما إن عقد علىٰ أمها، ولم يدخل بها فإنها لا تحرم عليه، ويجوز له في هذه الحال نكاحها.

٣ - وزوجة الابن الحقيقي الذي هو من صلب أبيه.

٤ - وزوجة الابن الذي من الرضاع، أما الابن المتبنىٰ فلا تحرم زوجته.

٥ - وكذلك أخت الزوجة لا يجوز أن يتزوجها الرجل وأختها ما زالت في عصمته، حتىٰ تَبينَ من الزوج أو تموت وتنقضي عدتها، أما من سبق له أن نكح أختين في وقت الجاهلية، فهو عمل جاهلي، والإسلام يهدم ما قبله.

وقد ثبت في السنة أيضًا النهي عن الجمع بين الزوجة وعمتها والزوجة وخالتها[2].

ثم بين سبحانه أنه عفا عنكم أيها الناس ما كان قد وقع منكم في الجاهلية من الأنكحة المحرمة، إنه كان ولم يزل سبحانه غفورًا لمن تاب وأناب؛ رحيمًا بعباده.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧)، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه البخاري (٢٦٤٦)، ومسلم (١٤٤٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

[٢٤] بين جل وعلا أن من النساء المحرمات في النكاح: نكاح المرأة المتزوجة؛ فإنه لا يجوز نكاحها إلا بعد أن تفارق زوجها بطلاق أو وفاة، وتنتهي عدتها، ثم استثنىٰ سبحانه المرأة المتزوجة التي تُسبىٰ في الحرب؛ فإنه يجوز لمن ملكها أن يطأها، ولكن بعد أن تستبرئ رحمها بحيضة، واعلموا أيها الناس أن الله حرَّم عليكم من سبق ذكرهن من النساء فالتزموا أوامره واهتدوا بهديه، ثم اعلموا أن الله أحل لكم أن تطلبوا بأموالكم نكاح سوىٰ ما ذكر من المحرمات لتعفُّوا أنفسكم ونساءكم عن الوقوع في الحرام، ثم أمر سبحانه أن تعطوا من رَغِبْتُمْ في الزواج منهنَّ ما فرضه الله لهنَّ من الصَّداق، ولا إثم عليكم فيما اتفقتم عليه من الصَّداق زيادة أو نقصانًا بعد ثبوت الفريضة، إن الله عليم بحالكم، حكيم بما يصلُح به شأنكم.

[٢٥] ثم بين جلّ وعلا أن من لم يقدر علىٰ دفع الصداق لنكاح النساء الحرائر المؤمنات غير المتزوجات؛ فيجوز له أن ينكح المملوكة المؤمنة بحسب ما يقدر عليه بإذن مالكها، والله أعلم بالمؤمن الصادق من الكاذب، وعليكم أن تتزوجوا المملوكات بموافقة مُلَّاكِهن، وأن تعطوهن حقهن من الصَّداق بحسب ما اتفقتم عليه بطيب نفس منكم، ولا يجوز الزواج من الأمة إلا إذا كانت عفيفة عن الزنا ظاهرًا وباطنًا، وليس لها أخلاء أو أصدقاء في السرّ؛ فإذا تزوجت الأمة أو أسلمت ثم أتت بفاحشة بعد الزواج فعليها الحدّ، وهو نصف ما علىٰ الحرائر، وهو الجلد وليس الرجم؛ لأن الرجم لا يتنصف.

ولهذا فإن (العذاب) المذكور في هذه الآية المقصود به الجلد، أي: أن تجلد خمسين جلدة. والعلة في كون حدّ الأمة نصف حدّ الحرة وهو الجلد؛ لأن الرجم سيؤدي إلىٰ إهلاكها، وهذا فيه إتلاف لمال مالكها الذي اشتراها ولا ذنب له في ذلك، أما العذاب فليس كذلك، وحتىٰ أشد العذاب لا يسمىٰ موتًا؛ كما قال نبي الله سليمان عليه السلام في الهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل:٢١]، فسليمان عليه السلام فرَّق بين العذاب والذبح وهو الموت.

ومن رحمة الله أنه جعل عقوبة الإماء والرقيق فقط الجلد؛ لأن الإماء والرقيق مبتذل، وكونهم مبتذلين وممتهنين لا ينفي أن يكون بعضهم في تقواه ومراقبته وعبادته لله أفضل من كثير من الأحرار، ومعلوم أن الأفضل هو الأتقىٰ لله، كما ورد في الحديث أنه: «**لا فضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوىٰ**»[1]، وقال الشاعر:

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأمُّ حواء

ثم بين سبحانه أنه شرع النكاح وأباحه من المملوكة عند الضرورة لمن خاف علىٰ نفسه الوقوع في الحرام، ولا شك أن الصبر عن الزواج بالمملوكة مع العفة أولىٰ وأفضل.

والعلة في عدم الرغبة في الزواج بالمملوكات؛ لأنهن ضعيفات مغلوبات علىٰ أمرهن، فهن عُرضة للاغتصاب من كل فاسق، أما الحرائر فإنهن أقدر منهن في المحافظة علىٰ شرفهن وشرف أهلهن، وأكثر صونًا لأنفسهن، كما قالت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وقت البيعة يوم الفتح حينما قرأ عليهن الرسول ﷺ شروط البيعة التي تؤخذ عليهن هي والنساء اللاتي حضرن معها للمبايعة؛ فذكر ﷺ من شروط البيعة: «**أن لا يزنين...**»، فقالت هند: (وهل تزني الحرة؟!)[2]. ثم ختم سبحانه الآية مبينًا أنه غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

(والطَّوْلُ) المذكور في هذه الآية هو: القدرة المالية، وكذلك (المحصنات) المذكورة في هذه الآية: هن الحرائر غير المتزوجات، بخلاف المذكورة في أول الآية التي قبلها فإن المقصود بها المتزوجات.

[٢٦] ثم بين جل وعلا أنه شرع لكم هذه الأحكام؛ ليبين لكم ما حرم عليكم وما أحل لكم، ويدلكم علىٰ طريق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم، وأن يوفقكم للتوبة مما وقعتم فيه من الأخطاء، واعلموا أن الله عليم بما تصلح به أموركم، حكيم فيما شرعه لكم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٤٨٩)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٥٧٤)، عن عائشة رضي الله عنها.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

[٢٧] ثم بين جل وعلا أنه يريد بهذه الأحكام التي شرعها لكم أن يطهركم من الذنوب والمعاصي، ويتوب عليكم، وأما أهل الفسوق والكفر الذين يتبعون الشهوات فيريدون أن يصرفوكم عن تقوىٰ الله؛ لتنحرفوا عن دينكم وتبتعدوا عنه ابتعادًا عظيمًا.

[٢٨] ثم بين جل وعلا أن من رحمته بهذه الأمة أن شرع لهم هذه الأحكام ليخفف عنهم التكاليف التيألْزَمُوا أنفسهم بها، فرخص للمضطر في الزواج بالأمة، وأبطل التبني، وحطَّ عنهم الآصار التي كانت علىٰ الأمم السابقة، وبيَّن لهم سنن الأنبياء والصالحين من الأمم السابقة ليقتدىٰ بها، وبيَّن العقوبات التي حلَّت بالأمم التي رفضت الهداية؛ فنعمه جل في علاه علىٰ أمة الإسلام لا حصر لها، ثم بيَّن سبحانه أنه شرع هذا التخفيف لأن الإنسان خلق ضعيفًا؛ ولذا فإنه لا يصبر علىٰ مشاق الطاعات، ولا يصبر أمام منازعة النفس وشهواتها وهواها، ولا يصمد ولا يصبر أمام المغريات من النساء والمال والمناصب.

[٢٩] ثم نهىٰ جلّ وعلا عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بغير حق، ولكن يباح لهم أن يجعلوها تجارة قائمة علىٰ مبدأ التراضي؛ وحينئذ يكون الربح حلالًا، ثم حذر سبحانه أن يقتل بعضكم بعضًا، وأن يقتل أحدكم نفسه؛ كما يفعل بعض الجهال اليوم من الانتحار، أو تعريض النفس للتهلكة بدون مبرر شرعي، واعلموا أن الله رحيم بعباده فيما شرعه لهم، ومن رحمته أنه نهاهم عما فيه مضرة عليهم، وأباح لهم ما فيه مصلحة لهم.

[٣٠] واعلموا أيها الناس أن من يقبل هذه المعاصي وغيرها من القتل، وأكل المال بغير وجه حق؛ فسوف يكون عقابه دخول نار جهنم، وكان هذا العذاب سهلًا ويسيرًا علىٰ الله لاستحقاق المسيء.

[٣١] ومن فضل الله وإحسانه علىٰ عباده المؤمنين أنه وعدهم أنَّ من اجتنب كبائر الذنوب والمعاصي والفواحش؛ فإنه سوف يغفر له صغائر الذنوب، ويدخله الجنة دار السرور والحبور، فله الحمد والمنّة. واعلموا أيها الناس أن من رحمة الله تعالىٰ ولطفه بعباده أن أردف بهذه الآية بعد قوله تعالىٰ في الآية السابقة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾؛ فلعلمه جل وعلا بضعفنا وَعَدَ بتكفير الصغائر، فله الحمد والشكر أولًا وآخرًا.

[٣٢] ثم نهىٰ جلّ وعلا عباده المؤمنين عن تمني ما فضَّل الله به بعض عباده علىٰ بعض علىٰ صفة الاحتجاج أو الحسد؛ فكونه أعطىٰ هذا ومنع هذا من علم أو مال أو مكانة؛ فاعلموا أن لكل واحد من الرجال والنساء نصيبًا قدّره الله وكتبه له بحسب علمه بعباده، ومن ذلك جعل للرجال ميزة علىٰ النساء كالقوامة وغيرها، ولذا عليكم أن تسألوا الله دائمًا من فضله وعظيم كرمه؛ فإنه سبحانه عليم بما يصلح لعباده في دينهم ودنياهم.

[٣٣] ثم بيَّن سبحانه وتعالىٰ أنه جعل لكل ميت من الآباء والأقرباء عصبة يرثون أموالهم، وبيَّن أن لكل من هؤلاء الورثة نصيبه المفروض والموضح في كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وأيضًا جعل للذين تحالفتم معهم بالأيمان المؤكدة شيئًا من الميراث؛ فيجب أن تعطوهم نصيبهم المقدر لهم، وكان هذ معمولًا به في الجاهلية وفي أول الإسلام ثم نسخه جل وعلا فقال: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٥]، وبقيت الوصية، فللمورث أن يوصي لمواليه إن شاء، واعلموا أيها الناس أن الله مطلع علىٰ جميع أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا
فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرٗا ٣٥ * وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ
وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ
وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧

[٣٤] يخبر جلّ وعلا أن الرجال قوّامون علىٰ النساء، فيتولون رعايتهن ونصحهن وإرشادهن، وحفظهن من أن يغتصبن أو ينحرفن، وإبعادهن عن مواقع الفتن والانحراف، وذلك بسبب ما خصهم الله به من التفضيل في قوة البدن والسعي في الأرض للكسب، وأنهم هم الذين ينفقون علىٰ النساء، ثم بيَّن سبحانه حال النساء الصالحات، وأخبر أنَّهن مطيعات لله، وقائمات بحقوق أزواجهن، وأنهن حافظات لأزواجهن في حال غيابهم، وهذا من حفظ الله وتوفيقه لهن، أما التي ترفض طاعة زوجها في المعروف؛ فعليه أن يؤدبها بأن ينصحها بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن؛ فإذا لم تتأثر بالنصيحة فله أن يهجرها في الفراش ولا يجامعها؛ فإذا استمرت في عنادها وترفعها فله أن يهددها، ثم يضربها ضربًا خفيفًا لا ضرر فيه؛ فإذا أطاعت زوجها بعد ذلك فاحذروا أن تظلموها، واعلموا أن الله أعلىٰ منكم وأكبر، وهو منتقم ممن يظلم النساء ويبغي عليهن.

[٣٥] وإذا علمتم أيها الناس أن بين الزوجين خلافًا وخصومة، وخفتم اشتدادَ الخلافِ بينهما؛ فابعثوا حكمًا عدلًا من أهل الزوج، وحكمًا عدلًا من أهل الزوجة؛ ليدرسا المشكلة التي كانت سببًا في الخلاف بينهما، وينظرا فيها، ثم يحكما بما فيه مصلحة الزوجين؛ فإذا كانت نية الحكمين صافية ويريدان الإصلاح بصدق؛ فإن الله سوف يوفق بين الزوجين، ويجمع بينهما، وتنحل جميع مشكلاتهما، واعلموا أن الله عليمٌ لا يخفىٰ عليه شيء من أمر عباده، وخبير بما سوف يصلح نفوسهم.

[٣٦] ثم أمر جلّ وعلا عباده المؤمنين أن يعبدوه ويوحدوه، ولا يجعلوا معه شريكًا آخر في العبادة، وهذا من حق الله علىٰ عباده، ثم أمرهم بالإحسان إلىٰ الوالدين ببرهما وطاعتهما وإكرامهما، والإحسان إلىٰ الأقارب الذين جمعت بينكم وبينهم رابطة القرابة والنسب، والإحسان إلىٰ اليتامىٰ الذين مات آباؤهم قبل سن البلوغ، وذلك بالعطف عليهم ورحمتهم، والإحسان إلىٰ المساكين بمد يد العون لهم ومساعدتهم، والإحسان إلىٰ الجار الذي يربط بينك وبينه حق الجوار وحق القرابة، والإحسان إلىٰ الجار الذي لا قرابة بينك وبينه، والإحسان للأصدقاء الملازمين لك؛ سواء في السفر أو التجارة أو الدارسة وغير ذلك، والإحسان إلىٰ ابن السبيل الذي انقطع عن بلده بإكرامه وهدايته للطريق، وإعطائه ما يوصله لبلده، والإحسان للعبيد المماليك الذين يخدمون أسيادهم بالرفق بهم، وإعانتهم، وعدم تكليفهم أكثر من طاقتهم، ويدخل في ذلك الرفق بالبهائم، بإطعامها، وعدم إيذائها، وعدم تحميلها ما يشق عليها، واعلموا أن الله لا يحب من كان معجبًا بنفسه، ولا يحب من يتكبر علىٰ الناس ويتفاخر عليهم، كما أنه لا يحب العنف في التعامل؛ فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه، ويحب سبحانه المتواضعين؛ فمن تواضع لله رفعه في الدنيا والآخرة.

[٣٧] ثم بيَّن جل وعلا أن من صفات هؤلاء البخلاء المتفاخرين علىٰ الخلق: أنهم يمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله؛ بل يأمرون غيرهم بالبخل، ويجحدون نعمة الله عليهم، ويكتمون ما أعطاهم الله من النعم والعلم، ثم أخبر سبحانه أنَّه أعد للجاحدين نعمه عذابًا أليمًا مخزيًا يوم القيامة.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ
قَرِينٗا ٣٨ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ
مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ
أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ
وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ
سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ
أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ
فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ
ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤

[٣٨] وبين جل وعلا أن من صفات هؤلاء البخلاء المتكبرين المتفاخرين علىٰ الخلق أيضًا: أنهم في حال إنفاقهم لبعض أموالهم فإنهم ينفقونها رياءً وسمعة، ومن صفاتهم: أنهم لا يصدقون بالله ولا بيوم القيامة، واعلموا أيها الناس أن من كان الشيطان له صاحبًا فبئس الصاحب وبئس هذا القرين الذي يريد إهلاك مَنْ صاحَبَهُ.

[٣٩] ثم وبَّخ جل وعلا هؤلاء الكافرين، فقال سبحانه: وماذا يضرهم لو أنهم صدّقوا بالله وبيوم القيامة، وأنفقوا في سبيل الله مما رزقهم الله من المال، وابتغوا بهذا الإنفاق وجه الله سبحانه وتعالىٰ، واعلموا أن الله عليم بما في قلوب هؤلاء الكافرين، وعليم بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

[٤٠] واعلموا أيها الناس أن الله جلّ وعلا تنزه عن الظلم حتىٰ ولو كان بمقدار ذرة؛ فلا يظلم سبحانه أحدًا من الناس؛ لا بإنقاص شيء من حسناته، ولا بزيادة في سيئاته، بل لو كانت هذه الحسنة من أعمال الخير بمقدار ذرة، فإن الله يضاعفها عنده أضعافًا كثيرة؛ بل يعطي سبحانه من عنده عطاءً جزيلًا زيادة علىٰ ثواب أعمالهم بأن يدخلهم الجنة.

وفي الحديث: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا...**»[1].

[٤١] وبعد أن علمت يانبي الله أن الله لا يظلم مثقال ذرة، فكيف يكون حال هؤلاء الكفار المجرمين يوم القيامة إذا جاء الله من كل أمة برسولها ليشهدوا عليهم بما عملوا، ثم جئنا بك يانبي الله لتكون شهيدًا علىٰ العصاة من أمتك الذين بلغتهم رسالة ربهم، هل امتثلوا أوامر الله ورسوله ﷺ ونفذوها، أم لا؟.

[٤٢] ثم بين جل وعلا أن الكفار الذين لم يتبعوا الرسول محمدًا ﷺ يتمنون يوم القيامة لو أن الله جلّ وعلا لم يبعثهم، أو تسوىٰ بهم الأرض فيصيروا مثل التراب حتىٰ لا يَرَوْا هذا اليوم، أو تنشق بهم الأرض فتبلعهم؛ كل ذلك حتىٰ يتخلصوا من ذلك اليوم العصيب الرهيب، ثم أخبر سبحانه أنهم في ذلك اليوم لا يستطيعون أن يكتموا الله سبحانه وتعالىٰ شيئًا مما فعلوا؛ لأن أعضاءَهم تشهد عليهم بكل ما فعلوا في الدنيا.

[٤٣] ثم خاطب جلّ وعلا عباده المؤمنين الذين فَرَضَ عليهم الصلوات الخمس في اليوم والليلة أن لا يقربوا الصلاة وهم سكارىٰ حتىٰ تكون عقولهم واعية يميزون بين الخطأ والصواب، وهذا كان قبل تحريم الخمر، ونهاهم أن يقربوا المساجد وهم جنُبٌ إلا إذا أرادوا أن ينتقلوا من باب إلىٰ باب؛ حتىٰ يتطهروا بالاغتسال، وإذا كانوا مرضىٰ لا يقدرون علىٰ استعمال الماء، أو كانوا في سفر، أو انتقض وضوؤهم بأحد نواقض الوضوء، أو جامع أحد امرأته؛ فلم يجدوا ماءً يتطهرون به؛ فعليهم بالتيمم وهو التطهر بالتراب؛ بأن يضرب الأرض بكفيه، ثم يمسح وجهه ويديه مرة واحدة، واعلموا أيها الناس أن الله كثير العفو والمغفرة لذنوب عباده المؤمنين.

[٤٤] ثم قال سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ: ألا تعجب يانبي الله من أمر أحبار اليهود الذين أُعطوا حظًّا من العلم الذي جاءهم في التوراة، ومع ذلك فإنهم يستبدلون الضلالة بالهدىٰ، أي: يستحبون البقاء علىٰ ما هم عليه بعد أن تبين لهم أن الإسلام هو الدين الحق؛ بل يتمنون لكم أن تبتعدوا مثلهم عن الحق، وهو صراط الله المستقيم.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، عن أبي ذر رضي الله عنه.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] يخبر جل وعلا أنه أعلم بأعدائكم منكم أيها المؤمنون؛ ولذلك فهو سبحانه حذركم منهم، ومما يكيدون لكم من الشرور؛ وبعد أن عرفتم واقتنعتم بعداوة الكفار لكم؛ فعليكم أن تكتفوا بولاية الله ونصرته؛ فهي تغنيكم عن موالاة جميع الكفار.

[٤٦] ثم أخبر جل وعلا أن من اليهود قومًا يحرفون ما جاء في التوراة عن معناه، ويبدلون مواضع آيات التوراة عن أماكنها، ومن ذلك إخفاؤهم ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في التوراة، ويقولون: سمعنا كلامك يامحمد وعصيناه، واسمع منا ما لا يسرك، لا أسمعك الله، وهو دعاء عليه ﷺ بالصمم، قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون، ويقولون عند مخاطبة الرسول ﷺ: راعنا يامحمد، يريدون بذلك الدعاء عليه بالرعونة، وهي الحمق والطيش، يلوون ألسنتهم بهذه الكلمة علىٰ سبيل التهكم والسخرية لصرف الكلام عن معناه الصحيح، وقصدهم بذلك الطعن في الدين، ثم أخبر سبحانه: لو أنهم قالوا: سمعنا وأطعنا، بدل: و(عصينا)، وقالوا: واسمع بدل: (غير مسمع)، وقالوا: وانظرنا، أي: ارفق بنا، بدل: (راعنا)؛ لكان ذلك خيرًا لهم مما قالوه وأعدل قولًا، ولكن أبعدهم الله عن رحمته بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا، ومن القليل الذين آمنوا: عبدالله بن سلام، وأبي بن كعب، وأصحابهم، رضي الله عنهم أجمعين.

[٤٧] ثم أمر جل وعلا اليهود الذين نزلت عليهم التوراة أن يصدِّقوا بالقرآن الذي أنزله الله علىٰ نبيه محمد ﷺ؛ لأن هذا القرآن مصدق لما جاء في التوراة من أحكام، ثم أنذرهم سبحانه بسوء العاقبة في حال إعراضهم عن نداء الله لهم بالإيمان بالقرآن، فقال جل في علاه: يامعشر اليهود آمنوا بهذا القرآن وصدقوا بما جاء فيه من قبل أن نأخذكم بذنوبكم، فنمحو وجوهكم ونشوهها حتىٰ تصير مطموسة أو نجعل الوجه فوق الرأس بدلًا من كونه فوق الصدر، أو نلعنكم كما لعنا بعض أسلافكم المفسدين من أصحاب السبت، وذلك بمسخهم قردة وخنازير، واعلموا أن أمر الله نافذٌ لا محالة، وهو لا يخلف الميعاد.

[٤٨] وهذا إعلان من الله جل وعلا أنه لن يغفر لمن أشرك به أحدًا من البشر أو غيرهم من المخلوقين، ومات علىٰ ذلك، وأخبر سبحانه أنه يغفر جميع الذنوب والمعاصي التي دون الشرك لمن شاء، واعلموا أن من يشرك بالله أحدًا غيره فقد ارتكب ذنبًا عظيمًا وإثمًا شنيعًا يخرجه من دين الإسلام.

[٤٩] ثم قال سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ: ألا تعجب يانبي الله من هؤلاء اليهود الذين يزعمون أنهم مُطَهَّرون من الذنوب والمعاصي؛ فمرة يقولون: إنهم أبناء الله وأحباؤه، ومرة يقولون: إن الله لن يعذبهم إلا أيامًا معدودة، ومرة يقولون: إن الجنة لهم وحدهم؛ مع أنهم غارقون في الكفر والشرك والمعاصي، وتكذيب النبي ﷺ، وما أُنزل عليه من القرآن، ثم أخبر سبحانه أنه هو الذي يمدح ويَأْجُرُ ويجزي من يشاء من عباده، وأنهم لن يُظلموا شيئًا من أعمالهم ولو كان قليلًا؛ بل ولو كان فتيلًا، أي: كان بمقدار الخيط الرفيع الذي يكون في شِقِّ نواة التمرة.

[٥٠] ثم أكد جل وعلا عجبه من هؤلاء اليهود، فقال سبحانه: فانظر يامحمد كيف يقول هؤلاء علىٰ الله الكذب في تزكية أنفسهم، وكفىٰ بهذا الكذب والافتراء علىٰ الله معصيةً كبيرة بينة.

[٥١] ثم قال جل شأنه لنبيه ﷺ: ألا تعجب يانبي الله من هؤلاء اليهود الذين أُعْطُوا قدرًا من علم التوراة؛ ومع ذلك فإنهم يؤمنون بكل ما يُعبد من دون الله من الأصنام والطواغيت، ثم يقولون لكفار مكة الذين حاربوا دين رسول الله ﷺ: إنكم أقوم وأعدل طريقًا من أولئك الذين آمنوا، يقصدون محمدًا عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وهذا إضافة إلىٰ أنه كذب؛ فهو محاربة وحسد وحقد علىٰ الدعوة؛ لأن الرسالة خرجت من ذرية يعقوب إلىٰ ذرية إسماعيل عليهما السلام.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[٥٢] ثم أخبر جل وعلا أن أولئك اليهود الذين أيدوا المشركين قد طردهم من رحمته، واستحقوا العذاب الشديد بفعلهم القبيح، واعلموا أن من يطرده الله من رحمته فلن تجدوا له ناصرًا أو معينًا.

[٥٣] ثم وصف جل وعلا اليهود بشدة البخل والشح، وبين أنهم ليس لهم حظ من الملك أبدًا، لأنهم يزعمون أن الملك سيعود إليهم في آخر الزمان، ثم بين سبحانه أنهم لو أعطوا الملك فإنهم لن يؤتوا أحدًا من الناس شيئًا بسبب بخلهم وشحهم؛ بل ولبخلوا بأقل القليل ولو كان نقيرًا، والنقير: هو النقرة التي تكون في ظهرِ نواة التمرة. وفي هذه الآية إنكار وذم لليهود بالبخل.

[٥٤] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء اليهود مع شدة بخلهم يحسدون النبي محمدًا ﷺ وأصحابه علىٰ ما أعطاهم الله من القرآن والحكمة، وهم يعلمون أن الله كما أعطىٰ محمدًا ﷺ القرآن والحكمة فقد أعطىٰ ذرية إبراهيم من قَبْلُ الكتب المنزَّلة والنبوة والملك العظيم، وذلك إشارة إلىٰ ما خص الله به داود وسليمان عليهما السلام من الملك العظيم، وفي هذه الآية إنكار وذم لليهود بالحسد.

[٥٥] ثم أخبر جلّ وعلا أن مِنَ اليهود مَنْ آمن بمحمد ﷺ فنال بذلك السعادة في الدنيا والآخرة، ومنهم من كفر وصد عنه حسدًا وعنادًا فحصل لهم ما حصل من الشقاء الدنيوي، ويكفيهم ما سينالونه من عذاب جهنم التي تسعر بهم يوم القيامة.

[٥٦] يخبر جل وعلا أن الذين كفروا بالقرآن، وكفروا بنبوة محمد ﷺ؛ سوف يدخلهم نارًا عظيمة، وكلما احترقت جلودهم وذابت في هذه النار بدل الله جلودهم بجلود غيرها ليستمروا في ألم العذاب؛ لأن الجلد مصدر الإحساس، واعلموا أن الله جل في علاه عزيز لا يغالب، وله سبحانه العزة العظيمة، والحكمة البالغة في خلقه وأمره وثوابه وعقابه.

[٥٧] ثم يخبر جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا الشرك والكفر والمعاصي، وعملوا الأعمال الصالحة؛ فإنه سوف يدخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يتمتعون في هذه الجنات، ولا يخرجون منها أبدًا، ولهم فيها أزواج طهرها الله مِن القاذورات ومن الأخلاق الرديئة، ثم يدخلهم سبحانه ظلًّا كثيفًا ممتدًا في جنات النعيم؛ فلا يرون شمسًا ولا زمهريرًا.

[٥٨] يأمر جل وعلا عباده أن يُرْجِعُوا ما ائتمنوا عليه من الحقوق إلىٰ أهلها، ثم أمرهم إذا قضوا بين الناس أن يقضوا بحكم الله فيهم ولا يظلموهم، وبين سبحانه أن نِعْمَ ما أمر الله به عباده هو أداء الأمانات والحكم بين الناس بالعدل، واعلموا أن الله كان ولم يزل سميعًا لما تقولون، بصيرًا بما تفعلون.

وهذه الآية نزلت علىٰ النبي ﷺ يوم فتح مكة، وهو داخل الكعبة، ثم سلم مفتاح الكعبة لبني شيبة؛ لأنهم كانوا حملته قبل فتح مكة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

[٥٩] يأمر جل وعلا عباده المؤمنين أن يطيعوا الله، وأن يطيعوا الرسول ﷺ، وذلك بالتزام أوامرهما واجتناب نواهيهما، ثم أمر بطاعة ولاة الأمر المسلمين، وطاعة أولياء الأمور تكون في المعروف؛ ثم بيَّن سبحانه أنه إذا حصل خلاف في أمر من أمور الدين أو الدنيا وجب ردُّ ذلك إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيما حكما فيه، وقبولُ حكمها، وبهذا تكونون مؤمنين بالله إيمانًا حقيقيًّا، ومؤمنين بيوم القيامة إيمانًا حقيقيًّا، واعلموا أن ما أمركم الله به من رد الحكم إلىٰ الله ورسوله خير وأحسن عاقبة لكم في الدنيا والآخرة لأنه حق.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[٦٠] ثم قال جل في علاه لنبيه ﷺ: ألا تعجب يانبي الله من هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن الذي أنزل عليك؛ بل يزعمون أنهم آمنوا بجميع الكتب السماوية التي أنزلت علىٰ الرسل من قبلك، ومع زعمهم هذا فهم يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت، والطاغوت هو كل رأس في الضلال؛ من ساحر وكاهن ونحوهما، مع أنهم أُمروا أن يكفروا بكل باطل، ومن ذلك أنهم أمروا أن يكفروا بالطواغيت، وينقادوا لحكم الله وحده، فكيف بعد ذلك يفضلون حكم الطواغيت، ويرفضون حكم الله؟، وهذا من إضلال الشيطان لهم، لأنه يريد أن يصدهم عن طريق الحق والهدىٰ فيضلهم عنه ضلالًا بعيدًا. ولهذا فمن أدعىٰ أنه مؤمن ثم اختار حكم الطاغوت علىٰ حكم الله فإنه كاذب في دعوىٰ الإيمان.

[٦١] وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلىٰ حكم الله وإلىٰ حكم رسوله ﷺ، ففيهما كل الخير والسعادة؛ رأيت المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وبما أنزل علىٰ الرسل من قبلك، يمتنعون من التحاكم إلىٰ القرآن وإلىٰ النبي ﷺ، ويعرضون عنك إعراضًا شديدًا؛ بسبب نفاقهم وضلالهم وحقدهم وكرههم لدين الله؛ لكن إذا كان الحكم في صالحهم، فإنهم يقبلونه، ليس حبًّا في الدين وفي رسول الله ﷺ، ولكن لأنه جاء وفقًا لهواهم.

[٦٢] ثم أخبر جل وعلا عن حال هؤلاء المنافقين إذا جاءتهم عقوبة أو أصابتهم مصيبة بسبب ما اقترفوه من الكفر والمعاصي، ثم يأتونك معتذرين يحلفون لك الأيمان الكاذبة أننا ما أردنا بالتحاكم إلىٰ غيرك إلا الصلح والتأليف بين المتخاصمين، وليس القصد أن نرفض حكمك؛ فنعتذر لك طالبين منك أن لا تؤاخذنا بما حصل منا، ولا شك أنهم كاذبون في اعتذارهم.

[٦٣] ثم بيَّن جل وعلا أنه يعلم ما في قلوب هؤلاء المنافقين من النفاق والنية السيئة؛ فلا تبالِ يانبي الله بهم، ولا تهتم، وبيِّن لهم خطورة ما هم عليه من النفاق بأسلوب لين فيه موعظة وترقيق لقلوبهم، وانصحهم سرًّا بينك وبينهم، وبالغ في زجرهم؛ لعلهم يتأثرون فيرتدعون عما هم فيه من النفاق والضلال.

[٦٤] ثم بين جل وعلا أنه ما أرسل رسولًا من الرسل إلا من أجل أن يطيعه قومه فيما يأمرهم وينهاهم، وعليهم أن يعلموا أن طاعة الرسول فرض، وأن من أعرض عن طاعة رسول الله ﷺ فقد كفر بالله، ولو أن هؤلاء المنافقين الذين أعرضوا عن التحاكم إليك جاءوك يامحمد تائبين مستغفرين الله، صادقين في توبتهم، ثم استغفرتَ لهم وشفعتَ لهم، لوجدوا الله قابلًا لتوبتهم واستغفارهم، رحيمًا بهم.

[٦٥] ثم أقسم جلّ وعلا بنفسه الكريمة أن هؤلاء المنافقين وغيرهم لا يكونون مؤمنين بالله إيمانًا حقيقيًا؛ حتىٰ يجعلوك حكمًا فيما يكون بينهم من نزاع، ثم لا يجدوا في صدورهم أدنىٰ شك في صحة حكمك وعدالته، ولا تضيق صدورهم بما حكمت به، ويذعنوا لحكمك إذعان المؤمنين المصدِّقين.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن
دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم
مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا
﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ
وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن
مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٦٦] يخبر جل وعلا أنه لو فرض على الناس الأوامر الشاقة كأن يقتلوا أنفسهم كما فرض ذلك على بني إسرائيل حينما أرادوا التوبة من عبادة العجل، أو يخرجوا من ديارهم كما فرض ذلك على المهاجرين من بني إسرائيل؛ لما استجاب لك يانبي الله إلا عدد قليل من المؤمنين المخلصين، وهذا من فضل الله ورحمته بالأمة أن جعل إعلان التوبة كاف لقبولها لأن قتل النفس من الآصار التي خففت عن هذه الأمة، ثم أخبر سبحانه أنهم لو فعلوا ما أمروا به من طاعة الله ورسوله والوقوف عند حكمهما؛ لكان خيرًا لهم في الدنيا والآخرة، وأشدَّ ثباتًا لهم في الدين.

[٦٧] ثم بيَّن جل وعلا أنهم لو آمنوا بالله ورسوله إيمانًا حقيقيًا وأطاعوا أمر الله ورسوله؛ لأعطاهم سبحانه من عنده ثوابًا كبيرًا، وهو الجنة.

[٦٨] ثم بين سبحانه أيضًا أنهم لو آمنوا بالله ورسوله إيمانًا حقيقيًّا لهداهم إلى الطريق الحق المستقيم الموصل إلى جنات رب العالمين، وهو الإسلام.

[٦٩] ثم أخبر جل وعلا أن من يطع أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ فسوف يدخله الله الجنة مع الذين أنعم الله عليهم وهم: الأنبياء الأبرار، والصدِّيقين الذين صدّقوا الرسل، والشهداء في سبيل الله، والصالحون المؤمنون من عباد الله، وحسن أولئك رفقاء في الجنة بالاجتماع بهم والأنس بقربهم.

[٧٠] ثم بين جل وعلا أن هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي نالوه من الله هو الذي وفقهم لذلك، وكفى به سبحانه عليمًا بمن يستحقَّ هذا الثواب الحسن، وهذا الفضل العظيم.

[٧١] يأمر جلّ وعلا عباده المؤمنين أن يكونوا حذرين دائمًا من أعدائهم، وأن يكونوا مستعدين لردهم، وأن يخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة، جماعة بعد جماعة، أو يخرجوا لهم مجتمعين.

[٧٢] واحذروا أيها المؤمنون هؤلاء المنافقين الذين يتأخرون في الخروج للقتال معكم؛ بل يثبطون غيرهم عمدًا وإصرارًا؛ فإن أصابتكم هزيمة في الجهاد قال ذلك الفريق المتخلف شامتًا: قد أنعم الله علينا حيث لم نكن معهم في هذا القتال.

[٧٣] ثم أخبر جل وعلا أنه إذا أصابكم أيها المؤمنون فضل من الله؛ من نصر أو غنيمة؛ فإن هذا الفريق المتخلف يقول متندمًا على ما فاته من نصر وكسب: يا ليتنا كنَّا معهم فنفوز بما فازوا به من الغنائم.

[٧٤] ثم أمر جل وعلا أن يجاهد في سبيل الله المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الحياة الدنيا بكل ما فيها من متع ولذات بالجنة الباقية التي اختاروها على البقاء في الدنيا، واعلموا أن من يجاهد في سبيل الله فيستشهد، أو يَغلِبَ العدو ويظفر به؛ فسوف يؤتيه الله ثوابًا كبيرًا.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا
(٧٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى
سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ
كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا۟
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ
عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا (٧٨) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ
فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

[٧٥] ثم حث جل وعلا المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، لتحرير المستضعفين من الرجال الذين منعهم الكفار من الهجرة، وتحرير النساء والأطفال الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، ثم بيَّن سبحانه أن هؤلاء المستضعفين يدعون ربهم قائلين: ياربنا أخرجنا من هذه القرية وهي مكة؛ التي ظلم أهلها بالكفر والضلال، وإيذاء المؤمنين بأنواع الأذى والتعذيب، وياربنا اجعل لنا من عندك وليًّا يتولى أمرنا، ونصيرًا ينصرنا على أعدائنا.

[٧٦] ثم أخبر جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسوله يجاهدون في سبيل الله نصرة للحق وأهله وإعلاءً لكلمة الله، وأما الذين كفروا فإنهم يقاتلون في سبيل الكفر والظلم والطغيان؛ ثم أمر سبحانه المؤمنين أن يجاهدوا أولياء الشيطان وهم الكفار، وأن لا يخافوهم، ثم بين سبحانه أن كيد الشيطان كان وما يزال ضعيفًا، فلا يضركم، ولا يثبت أمام جيش المؤمنين.

[٧٧] يخبر جل وعلا عمَّا حصل للمؤمنين في مكة في أول الدعوة من أذى الكفار؛ حيث آذَوْا المسلمين أذًى بالغًا؛ بل وآذوا النبي ﷺ؛ فتحمس بعضهم وطلب من الرسول ﷺ الإذن بأخذ الثأر منهم، وكان المسلمون قليلين وَضِعَافًا؛ فلو أذن لهم ﷺ لبطش بهم الكفار وقضوا عليهم؛ لذا فإن الله لم يأذن لرسوله ﷺ بالمقاومة؛ وأمر ﷺ الصحابة بالمسالمة وأداء ما فرضه الله عليهم من الصلاة التي تربي نفوسهم وتخلصها من أدران المآثم، وأداء الزكاة التي تطهر النفوس من الشح والبخل، وتقوِّي رابطة الأخوة والمحبة بين الناس، وأمرهم أن يستمروا على ذلك حتى يأتي أمر الله ويكون للمسلمين قوة وشوكة، فلما تمت الهجرة، واستعد المسلمون للجهاد وأخذ الثأر، وأُذِنَ لهم بالقتال استثقل ذلك بعض المسلمين، وأصبحوا يخافون من الناس كما يخافون من الله؛ بل خوفهم من الناس كان أشد، وقالوا: يا ربنا لم أوجبت علينا القتال؟، وتمنوا لو تأخر الإذن بالقتال إلى وقت آخر، وذلك رغبة منهم في الاستمتاع في الحياة الدنيا، فقل لهم يا محمد: إن متاع الدنيا قليل مهما طال، وإن الآخرة وما فيها من النعيم المقيم خير وأبقى لمن اتقى الله، ثم بين سبحانه أنه لا يبخس من ثواب أحد شيئًا مهما كان، ولو كان بمقدار الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة.

[٧٨] يخبر جل وعلا أن الموت سوف يلحقكم أيها الناس في أي زمان ومكان؛ حتى لو كنتم في حصون وقصور منيعة، واعلموا أن هؤلاء المنافقين إذا أصابتهم حسنة من خير أو مال وغير ذلك من النعم فإنهم يقولون: هذه من عند الله إكرامًا لنا، أما إذا أصابهم مكروه من جوع أو هزيمة نسبوه إلى الرسول ﷺ، فقل لهم يانبي الله: اعلموا أن ذلك كله من عند الله وحده، بقضائه وقدره، وإذا كان الأمر كذلك فما لهؤلاء المنافقين لا يفهمون ما يقال لهم من النصائح والمواعظ.

وهذه الآية قيل: نزلت في قوم من الصحابة لما أمروا بالقتال كرهوه خوفًا من الموت، فعاتبهم جل وعلا وأخبرهم أن أيام الحياة قليلة وأن الآجال محددة.

وقيل: نزلت في المنافقين وهذا هو الأظهر والأنسب من سياق الآية.

قال الشيخ محمد الشعراوي في تفسير قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: إن كل ما يحصل في الكون هو من عند الله تقنينًا كونيًّا ينتظم الحركة والسكون؛ فالله هو الذي جعل المرء قادرًا على العمل حَسَنِهِ وسيئِه، والثواب والعقاب يرتب بتوجيه الطاقة، فإذا هو اختار عمل الخير وأقدم عليه فإنه يثاب على اختياره ونيته وإقدامه، وإذا اختار عمل الشّر وأقدم عليه فإنه يعاقب على اختياره وعمله، ويسمى: كسبًا.

فإذا قيل: إن الله أراد ذلك منه. **قيل**: نعم هو أراده كونًا ولم يرده شرعًا؛ فالله خلق الإنسان وجعله مختارًا لهذا أو لهذا، ومن أجل ذلك فهو مريد كونًا ما يكون منه، فإن فعل الخير فهو مراد شرعًا وكونًا؛ وإنْ فَعَلَ الشر فهو لم يخرج عن مراد الله؛ فالله قد هداه النجدين وأقدره على فعل كل ما يريد، لكنه جل وعلا لا يريد شرعًا الشر، ولا يأمر بالفحشاء.

[٧٩] واعلم أيها الإنسان أن ما أصابك من نعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك، وأن ما أصابك من شدة وأذى ومكروه فمن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته، ثم أخبر سبحانه أنه أرسل محمدًا ﷺ للناس كافة ليبلغهم دين الله، وليخرجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والتوحيد، وكفى بالله شهيدًا على تبليغك وعلى إجابتهم.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ
أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ
مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦

[٨٠] واعلموا أن الاستجابة لمحمد ﷺ هي استجابة لله، وأن من أعرض منهم وعصاك يارسول الله؛ فدعه ولا تلتفت إليه؛ فما أرسلناك حافظًا لهم ورقيبًا علىٰ أعمالهم، وليس لك أن تحاسبهم؛ بل حسابهم علينا؛ فإذا بلَّغتَ فقد أعذرتَ وأنذرتَ.

[٨١] ثم يخبر جل وعلا أن المنافقين إذا جاءوا عند الرسول ﷺ يقولون: نحن نطيعك فيما أمرت؛ فإذا خرجوا من عنده أظهر جماعة منهم وهم رؤساؤهم خلاف ما قاله ﷺ، وما علموا أن الله يعلم ما يضمرون، وأنه قد كتبه في صحائف أعمالهم ليعاقبهم عليها؛ وما دام أن هذا هو شأن هؤلاء المنافقين فأعرض يانبي الله عنهم، ولا تعاتبهم علىٰ فعلهم، وتوكل علىٰ الله واعتمد عليه، وكفىٰ به وكيلًا وكفيلًا.

[٨٢] وبعد أن كشف الله ما في قلوب هؤلاء المنافقين من النفاق، وسوء النوايا والخبايا، وظهر لهم سوء عاقبة الكافرين وحسن عاقبة المؤمنين، ألا يدفعهم ذلك إلىٰ الإيمان وإلىٰ تدبر القرآن، ليروا ما فيه من تشريع حكيم، ونور مبين، وآيات ودلالات تشهد أن هذا القرآن من عند الله، وأنه لو كان من غير الله لوجدوا فيه كثيرًا من الاختلافات والتناقضات في أحكامه وألفاظه.

[٨٣] واعلموا أن هؤلاء المنافقين وبعض ضعاف الإيمان إذا جاءهم خبر مهم يتعلق بأمن المسلمين أو خوفهم، أذاعوه ونشروه قبل أن يتثبتوا من صحته للتشويش علىٰ المسلمين وإرباكهم، وبلبلة الأفكار بين صفوفهم، ولو أنهم هم ومن يستمع إليهم ردوا ذلك الخبر إلىٰ الرسول ﷺ وإلىٰ أولي الأمر من كبار الصحابة وأمراء السرايا والعلماء؛ لعلم هؤلاء حقيقة الخبر ومصدره ومعناه وما يترتب عليه من منافع أو أضرار، ثم يترك الأمر لهم فينظروا هل من المصلحة إفشاؤه أو عدم إفشائه، ولولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بإرسال هذا النبي إليكم، ورحمته بكم بإنزال القرآن عليكم، وتثبيت قلوبكم علىٰ الإيمان، وتوفيقكم إلىٰ الطاعة والأعمال الصالحة؛ لاتبع أكثركم الشيطان، ووقعتم في وساوسه وضلالاته، إلا نفرًا قليلًا من الذين أخلصوا دينهم لله، واعتصموا به فليس للشيطان عليهم سبيل.

[٨٤] ثم أمر جلّ وعلا رسوله محمدًا ﷺ أن يجاهد في سبيل الله لأجل إعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه؛ حتىٰ ولو لم يخرج إلا وحده فهو مأمور بتبليغ الرسالة، ثم أمره سبحانه أن يحث المؤمنين علىٰ القتال معه من أجل نصرة دين الله؛ عسىٰ الله أن يكف بأس الذين كفروا فيسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيهزموهم، فلا يبقىٰ لهم بأس ولا قوة، واعلموا أن الله تعالىٰ أشد بأسًا من كل ذي بأس، وأشد عقوبة وتعذيبًا لأعداء الدين.

[٨٥] يخبر جلّ وعلا أن من يَسْعىٰ لمساعدة من يستحق المساعدة في أمر من أمور الخير كان له نصيب من الأجر والثواب، وهذا النصيب يضاعفه الله له أضعافًا كثيرة، وهكذا من يسعىٰ لمساعدة إنسان علىٰ أمر من أمور الشرِّ كان عليه وزر، وهذا الوزر يكتبه الله كما هو لا يزيد ولا ينقص، وهذا من رحمة الله بعباده، أن الحسنة تضاعف، وأما السيئة فتكتب كما هي ولا تضاعف، واعلموا أن الله كان ولم يزل علىٰ كل شيء شاهدًا وحفيظًا وحسيبًا.

[٨٦] ثم أمر جلّ وعلا المسلم إذا سلَّم عليه أخوه أن يجيبه بأفضل مما سلم، أو يردَّ عليه السلام بمثل ما سلم، فإذا قال لك أخوك: (السلام عليكم ورحمة الله)؛ فرد عليه قائلًا: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)، وهذا هو الأفضل، أو ترد عليه بمثل ما قال فتقول: (وعليكم السلام ورحمه الله)، واعلموا أن الله كان وما يزال بصيرًا بكل أقوالكم وأعمالكم، وسيحاسبكم عليها يوم القيامة، وسيجازيكم عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ
يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ۖ كُلَّ
مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا
إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

[٨٧] يقسم الله جل في علاه الذي لا معبود بحق سواه أنه سيبعثكم أيها الناس من قبوركم بعد مماتكم، وسيحشركم إلىٰ موقف الحشر والحساب يوم القيامة الذي لا شك ولا ريب فيه، واعلموا أن هذا قول الله جل شأنه، وأي قول أصدق من قول الله؟.

[٨٨] وبعد أن عرفتم أيها المؤمنون حال المنافقين، وانكشف لكم خبثهم وكيدهم للإسلام والمسلمين؛ فلماذا أنتم مختلفون في أمرهم إلىٰ فريقين؟، فريق يرىٰ أن يقتلوا، وفريق يرىٰ أن لا يقتلوا لأن ظاهرهم الإسلام؛ فالواجب عليكم أن لا تختلفوا في أن المنافقين مارقون خارجون من الإسلام لأنهم يظهرون الكفر الصريح، وقد أوقعهم الله في الكفر والضلال بسبب نفاقهم وأعمالهم السيئة، وعليكم الجهر والتصريح بذلك، لأن بعض المسلمين يرتاحون لهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]، ثم إن فريقًا من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلىٰ البادية فالتحقوا بالمشركين؛ فالله جل وعلا أراد من عباده أن يعلموا أنهم أشد عداوةً من الكفار؛ لأن الكفار عداوتهم وحربهم مكشوفة، وهؤلاء مخذِّلون مثبطون من الداخل كالسوس؛ فهل تريدون بعد ذلك هداية من أضله الله؟، واعلموا أن من أضله الله عن دينه الحق واتباع أوامره فلن تجد طريقًا إلىٰ إصلاحه.

وهذا الإضلال هو إضلال جزائي وليس إضلالًا ابتدائيًّا، وهو مبني علىٰ ضلالهم الاختياري؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، أي: أنهم لما ضلوا بعد أن عرفوا الحق وأصروا علىٰ الضلال، طبع الله علىٰ قلوبهم جزاءً لهم؛ فمن يهديهم إذًا؟!

[٨٩] ثم بيَّن جل وعلا أن هؤلاء المنافقين يتمنون أن تكفروا كما كفروا؛ فتكونون أنتم وهم في الكفر سواء؛ فإياكم أن توالوهم وإن أظهروا الإيمان حتىٰ يهاجروا في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دين الله؛ حتىٰ يكون ذلك دليلٌ علىٰ صدق إيمانهم؛ فإن أعرضوا عن الهجرة في سبيل الله، وبقوا علىٰ ما هم عليه من الكفر والضلال؛ فاقتلوهم حيث وجدتموهم، واحذروا أن تتخذوا منهم وليًّا توالونه، أو ناصرًا تنتصرون به علىٰ عدوكم.

[٩٠] ثم استثنىٰ جلّ وعلا من قتال المنافقين ثلاث فئات؛ فالفئة الأولىٰ: الذين لجأوا إلىٰ قوم بينكم وبينهم عهد؛ فهؤلاء يدخلون فيهم بالحلف والجوار، فلا يجوز قتالهم، والفئة الثانية: الذين جاءوا إليكم وقد ضاقت صدورهم ولم تسمح نفوسهم لا بقتالكم ولا بقتال قومهم، ولو أراد الله لسلط هؤلاء الكفار عليكم لقتالكم، ولكن من لطف الله ورحمته بكم أن كف شرهم عنكم؛ فإذا تركوكم ولم يقاتلوكم؛ بل سالموكم، وانقادوا للصلح والأمان ورضوا به؛ فلم يجعل الله لكم طريقًا لقتالهم أو أسرهم.

[٩١] ثم أخبر جل وعلا عن الفئة الثالثة: وهم الذين يريدون مصلحة أنفسهم؛ فإن انتصرتم علىٰ المشركين كانوا معكم، وإن ظهر المشركون عليكم كانوا مع المشركين، فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين، وهؤلاء كلما دعوا إلىٰ الكفر وقتال المسلمين انتكسوا عن عهدهم وانهمكوا في الفتنةِ وعادوا لذلك؛ فإذا لم يتركوا قتالكم ويستسلموا لكم ويمتنعوا عن العدوان عليكم؛ فهؤلاء خذوهم أسرىٰ، واقتلوهم حيث وجدتموهم، واعلموا أن هؤلاء المنافقين الذين وصفهم الله لكم أيها المؤمنون قد جعل الله لكم حجة واضحة في أخذهم وقتلهم بسبب خيانتهم وغدرهم بكم.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

[٩٢] يخبر جلّ وعلا أنه لا يجوز للمؤمن الاعتداء علىٰ أخيه المؤمن وقتله بغير وجه حق، إلا إذا وقع القتل عن طريق الخطأ، وليس عمدًا، واعلموا أن من يقتل أخاه المؤمن خطأً، فعليه كفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة، وتسليم دية إلىٰ ورثته، إلا إذا تصدق الورثة بالعفو عن الدية، فهذا وشأنهم، أما إذا كان المقتول من قوم كفار محاربين لكم أيها المؤمنون، وكان القاتل مؤمنًا بالله ورسوله؛ فعلىٰ القاتل كفارة وهي عتق رقبة مؤمنة، وليس عليه دفع الدية، وأما إذا كان المقتول من قوم كفار، ولكن بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق؛ فعلىٰ القاتل في هذه الحال تسليم دية إلىٰ ورثته وتحرير رقبة مؤمنة، ثم بين سبحانه أن من لم يقدر علىٰ عتق رقبة مؤمنة فعليه أن يصوم شهرين متتابعين لا يفطر فيهما من غير عذر. وقد ذكر الشيخ عبدالله المطلق أن بعض العلماء يقولون: إنْ لم يستطع الصيام فعليه أن يطعم ستين مسكينًا، قياسًا علىٰ الظهار.

واعلموا أن هذه الكفارة المغلظة التي أوجبها الله علىٰ القاتل ليتوب الله عليه، وكان الله ولم يزل عليمًا بعباده، مطلعًا علىٰ أعمالهم، حكيمًا فيما شرعه لهم.

[٩٣] ثم أخبر جلّ وعلا بالوعيد الشديد لمن أقدم علىٰ قتل مؤمنٍ متعمدًا؛ فبين سبحانه أن عقاب من ارتكب هذه الجناية العظيمة هو دخول جهنم يتعذب فيها مدة الله أعلم بمقدارها، مع سخط الله عليه بسبب هذا الجرم الذي وقع فيه، وطرده من رحمته، وبعد هذا كله فقد أعد الله له عذابًا عظيمًا يوم القيامة بسبب هذه الجريمة العظيمة التي ارتكبها.

قال الشيخ صالح بن حميد: فسر العلماء الخلود في هذه الآية: بالمكث الطويل، وليس الخلود الأبدي الذي يختص به المشركون والكفار والمنافقون؛ لأن صاحب الكبيرة الذي لم يُغْفَرُ له يمكث في النار زمنًا حتىٰ يتطهر، ثم يخرج من النار ويدخل الجنة، وهذا هو تفسير أهل السنة والجماعة.

[٩٤] ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه إذا خرجتم مسافرين للغزو والجهاد في سبيل الله فتأكدوا ممن تلقونهم في طريقكم، هل هم مسلمون فتكفوا عنهم؟، أو كافرون فتقاتلوهم؟، ولا تقولوا لمن ألقىٰ عليكم تحية الإسلام أو نطق بالشهادتين: لستَ مسلمًا لتنالوا منه سَلَبَهُ، ومن أراد الغنيمة فعند الله لكم مغانم كثيرة، كذلك كنتم من قبل تخفون إيمانكم خوفًا من قومكم فمنَّ الله عليكم وأظهر دينه ونصركم؛ لذا يجب عليكم أن تتبينوا قبل الإقدام علىٰ قتل أي أحد حتىٰ تتأكدوا من كفرِهِ، واعلموا أنَّ الله كان ولم يزل عليمًا بأعمالكم، وسوف يحاسبكم عليها، وهو علىٰ كل شيء قدير.

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن
يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن
يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ
وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي
الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

[٩٥] يخبر جل وعلا أن أولئك القاعدين الذين لم يخرجوا للجهاد في سبيل الله من غير مانع شرعي؛ لا يتساوون مع أولئك الذين خرجوا يقاتلون بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله لرفع راية الإسلام، وإعزاز دين الله، ثم بيَّن سبحانه أنه فضَّل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيله على القاعدين بسبب مانع شرعي كالأعمى والأعرج وغيرهم درجة عالية في الجنة، لأن أولئك الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم بذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، ثم وعد الله كلًّا من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدين بسبب العذر الشرعي الجنة، ثم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين بغير مانع شرعي بأجور عظيمة.

[٩٦] ثم بيَّن جل وعلا أن هذه الأجور العظيمة التي أعطاها سبحانه للمجاهدين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ترفعهم درجات ومنازل عالية في الجنة بعضها أعلى من بعض، مع المغفرة لذنوبهم والرحمة بهم، وكان الله ولم يزل غفورًا لمن تاب وأناب، رحيمًا بعباده الطائعين والمجاهدين في سبيله.

والمقصود من هذه الآية والتي قبلها هو لوم القاعد عن الجهاد في سبيل الله لرفع راية الإسلام وإعزاز دين الله، مع قدرته على الجهاد مع إخوانه.

[٩٧] ثم وبخ جل وعلا أولئك الذين تركوا الهجرة مع قدرتهم عليها، فأخبر سبحانه أنهم ظلموا أنفسهم بالمقام في دار الشرك والخروج مع المشركين لقتال المسلمين يوم معركة بدر، فتسألهم الملائكة توبيخًا وتبكيتًا لهم: أين كنتم عندما هاجر إخوانكم، ولم تهاجروا معهم؟ فردوا قائلين: لقد كنا مستضعفين في مكة؛ فتقول لهم الملائكة: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا من أرضكم إلى أي أرض أخرى كما هاجر إخوانكم؛ وتركوا أهليهم وأموالهم، ثم بين سبحانه أن هؤلاء الذين تقاعسوا عن الهجرة مأواهم جهنم وبئس المصير؛ بسبب قدرتهم على الهجرة ولم يهاجروا، وهذا العقاب الشديد لا يشمل العجزة والمرضى ونحوهم.

[٩٨] ثم استثنى جلّ وعلا من هؤلاء المتقاعسين عن الهجرة: المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا قوة لهم على الهجرة، ولا نفقة معهم، ولا يهتدون طريقًا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ثم أخبر جل وعلا أن أولئك المستضعفين من الرجال والنساء والولدان يُرجى عفو الله عنهم، لأن من شأنه سبحانه العفو والغفران.

[١٠٠] ثم أخبر جلّ وعلا أن من خرج مهاجرًا لنصرة دين الله وإقامة شرعه سيجد سعة في الرزق والعيش وراحة البال، ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله، ثم يموت في طريق هجرته، وإن لم يصل إلى دار الهجرة؛ فقد وجب أجره على الله وافيًا، ويغفر الله تعالى له ما كان من تقصير سابق، ويرحمه برحمته.

[١٠١] واعلموا أيها المؤمنون أنكم سافرتم للجهاد في سبيل الله أو للتجارة؛ فلا إثم عليكم أن تقصُروا الصلاة؛ فتجعلوا الصلاة الرباعية ركعتين، وذلك إن خفتم من عدوان الكفار عليكم، واعلموا أن الكفار أعداء ألدَّاء لكم فاحذروهم. وهذه الآية نزلت في إباحة قصر الصلاة في السفر، وقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾: ليست للشرط، وإنما هي لبيان الواقع، لأن غالب أسفار الرسول ﷺ كانت من أجل الحرب، ومعلوم أن الحروب يكون فيها الخوف والفزع دائمًا.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى
ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] وإذا كنت يانبي الله مع المجاهدين وقت القتال، وحان وقت الصلاة وأردت أن تصلي بهم، فاجعلهم طائفتين، طائفة تصلي معك وتحمل معها أسلحتها، والطائفة الثانية تقف في مواجه العدو، فإذا انتهت الطائفة الأولىٰ من الصلاة فلتأت الطائفة الثانية لكي تصلي معك، والطائفة الأولىٰ تعود لتقف في مواجهة العدو، وليأخذ الجميع سلاحه ويكونوا حذرين من العدو؛ لأن العدو يتمنىٰ لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيأخذكم علىٰ حين غرة فيحمل عليكم حملة واحدة للقضاء عليكم، واعلموا أنه لا إثم عليكم أيها المؤمنون إن كان بكم أذىٰ من مطر، أو كنتم مرضىٰ لا تستطيعون الاستمرار في حمل السلاح؛ أن تضعوا أسلحتكم أمامكم ولا تحملوها، ولكن مع أخذ الحذر والحيطة، واجعلوا أسلحتكم قريبة منكم وفي متناول أيديكم، إن الله أعد للكافرين في الدنيا والآخرة عذابًا عظيمًا مؤلمًا مخزيًا.

[١٠٣] فإذا انتهيتم أيها المؤمنون من أداء الصلاة كما أمر الله؛ فأكثروا من ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتحميد في حال قيامكم وقعودكم واضطجاعكم، أي: اذكروه سبحانه علىٰ كل أحوالكم، فإذا أمنتم وذهب الخوف فالواجب عليكم أداء الصلاة في أوقاتها بكامل أركانها وواجباتها، واعلموا أن الصلاة كانت علىٰ المؤمنين فريضة مقدرة بأوقات محددة؛ فلا يجوز تأخيرها عن وقتها، إلا لمن نسيها أو نام عنها فليصلها حال ذكرها أو القيام من النوم كما في الحديث، وكذلك لا يجوز أداؤها قبل وقتها، ولا يجوز ترك شيء من أركانها وواجباتها إلا في حال السفر والحرب.

[١٠٤] ثم حث جل وعلا المؤمنين علىٰ مواصلة الجهاد في سبيله، فقال سبحانه: ولا تضعفوا أيها المؤمنون في طلب أعدائكم من الكافرين لتقاتلوهم؛ واعلموا أنكم إذا كنتم تتألمون من جراح الحرب ومن القتل؛ فإنهم يتألمون أيضًا مثلكم، ولكنكم ترجون بهذه الآلام رضوان الله والنصر أو الشهادة، أما هم فلا يرجون شيئًا من ذلك، والله عليم بأعمالكم وأعمالهم، حكيم في تشريعه وأحكامه، يجازي كلًّا بعمله.

[١٠٥] واعلم يانبي الله أن الله أنزل إليك هذا القرآن مشتملًا علىٰ الحق في أخباره وأحكامه وتشريعاته؛ لكي تحكم بين الناس بما أعلمك الله وأوحىٰ إليك؛ ولا تكن مدافعًا عن الخائنين، وتنحاز لطرفهم، وابذل جهدك في تحري الحق واتباعه.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ
جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] يأمر جل وعلا رسوله ﷺ أن يستغفر الله مما صدر منه، وأن يرشد قومه للإكثار من استغفار الله في جميع الأحوال، واعلموا أن الله كان ولم يزل غفورًا يغفر الذنوب جميعًا، رحيمًا بعباده.

[١٠٧] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن لا يخاصم ولا يدافع عن هؤلاء المنافقين الذين يخونون أنفسهم بارتكاب الذنوب والمعاصي؛ فإن الله لا يحب من كان من شأنه الخيانة، وكانت وصفًا من أوصافه، وأيضًا لا يحب من يرتكب الذنوب، وكانت عادة من عاداته السيئة.

[١٠٨] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المنافقين الخونة يستترون بخيانتهم من الناس، حياءً وخوفًا منهم، ولا يستترون من الله، وكان الواجب عليهم أن يستحوا من الله، فهو أحق أن يستحيىٰ منه، وأن يخاف من عقابه، ونسوا أن الله معهم بعلمه، مطلع علىٰ أقوالهم وأعمالهم، يعلم بما كانوا يدبرون ويخططون ليلًا مما لا يرضاه سبحانه من القول، وكان الله ولم يزل محيطًا إحاطة كاملة بأعمالهم وأقوالهم لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وسيحاسبهم عليها يوم القيامة.

[١٠٩] ثم وبخ جل وعلا هؤلاء المدافعين عن الخائنين، فقال سبحانه: ها أنتم حاججتم ودافعتم عنهم اليوم في هذه الحياة الدنيا، فمن يتولىٰ الدفاع عنهم أمام الله يوم القيامة في يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئًا، والأمر كله لله؟ بل من الذي يستطيع أن يكون وكيلًا عن هؤلاء الخائنين يوم القيامة؟!.

[١١٠] ثم فتح جل وعلا باب التوبة لهؤلاء الخائنين وغيرهم، فأخبر سبحانه أن من يعمل ذنبًا يؤذي به غيره، أو يظلم نفسه بارتكاب الذنوب والمعاصي، ثم يندم علىٰ ما عمل، ويستغفر الله، فإنه يجد الله بفضله وكرمه غفورًا لذنبه، واسع الرحمة به، إلا إذا ترتب علىٰ إساءته إضاعة حق، فالواجب عليه أن يرد ذلك الحق لصاحبه مع التوبة والندم.

[١١١] ثم أخبر جل وعلا أن من يكسب ذنبًا من الذنوب، أو معصية من المعاصي، أو جريمة من الجرائم، فإنما يعود ضرر ذلك الذنب علىٰ نفسه، ثم بين سبحانه أنه عليم بكل ما يقع من عباده من أعمال صالحة أو سيئة، حكيم في تشريعه وتدبيره، وسوف يعامل عباده بمقتضىٰ حكمته من العذاب أو العفو.

[١١٢] ثم بين جل وعلا أن من يرتكب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم يتهم بذلك الذنب شخصًا بريئًا لم يرتكبه، فقد تحمل بسبب فعله هذا جريمة الكذب والافتراء علىٰ الأبرياء، وتحمل ذنبًا كبيرًا واضحًا بيِّنًا لا شك فيه.

[١١٣] ثم بين جل وعلا أنه لولا فضل الله عليك يانبي الله بالنبوة وإنزال القرآن عليك، ورحمته لك بأن عصمك من الوقوع في الأخطاء؛ لهمت جماعة منهم أن يضلوك عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك، وهم في الحقيقة ما يضلون إلا أنفسهم بتعاونهم علىٰ الإثم والعدوان، واعلم أنهم لا يستطيعون إيذاءك لأنك بنعمته معصوم، ثم أخبر سبحانه أنه أنزل عليك القرآن والحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تكن تعلمه إلا بوحي منه، وكان فضل الله عليك عظيمًا.

وهذه الآيات من آية رقم ١٠٥ إلىٰ آية رقم ١١٣ نزلت في رجل يقال له طعمة بن أبيرق من أهل المدينة، سرق درعًا، ثم لما شعر أنه سيعرف ويخاصم، رمىٰ بالدرع الذي سرقه في بيت يهودي، فتتبع أمره فعرف فلما خاصمه مالك الدرع ادعىٰ أنه بريء، وأن اليهودي هو السارق بقرينة أن الدرع وجد في بيته؛ ثم إن جماعة السارق فزعوا معه إلىٰ رسول الله ﷺ يدافعوا عنه خشية العار، فنزلت هذه الآيات فافتضحت أمره[1].

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٣).

* لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

[١١٤] يخبر جل وعلا أنه لا خير في كثير من الأحاديث التي يتحدث بها الناس في الخفاء؛ ومعلوم أن الشر لا ينمو إلا في الخفاء، لكن إذا كان الحديث في الخفاء من أجل التواصي ببذل الصدقات، وأعمال البر والخير، والإصلاح بين المتخاصمين، فإن ذلك من الخير، واعلموا أيها الناس أن من يفعل هذه الأعمال الصالحة طلبًا لمرضاة الله؛ فإن الله سوف يعطيه ثوابًا كبيرًا علىٰ أعماله الصالحة في الدنيا والآخرة.

[١١٥] واعلموا أيها الناس أن من يخالف أمر الرسول ﷺ من بعد ما ظهر له الحق، وسلك طريقًا غير طريق الموحدين، فإن الله سوف يتركه وما اختار لنفسه، ثم يدخله جهنم، وبئست مرجعًا ومصيرًا لهؤلاء المجرمين.

[١١٦] ثم أخبر جل وعلا أنه لن يغفر لأحد من الناس ذنب الشرك أبدًا، وأما سائر الكبائر والصغائر فإن الله إن شاء غفر للعبد، وإن شاء طهره بالنار ثم أدخله الجنة، واعلموا أن من يشرك بالله فقد ابتعد عن الحق بُعْدًا كبيرًا.

[١١٧] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء المشركين ما يعبدون من دون الله إلا أصنامًا سموها بأسماء الإناث؛ كاللات والعزىٰ ومناة وغيرها، وهذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، لأن النافع والضار هو الله وحده، ثم بين سبحانه أنهم في الحقيقة ما يعبدون إلا شيطانًا متمردًا خارجًا عن طاعة الله تعالىٰ؛ وهو إبليس اللعين المطرود من رحمة الله، الذي دعاهم لعبادة غير الله، ودعاهم لكل الشرور والمعاصي؛ لأنه يريد إهلاكهم.

[١١٨] ثم بعد ذلك لعن جل وعلا هذا الشيطان اللعين المتمرد، واللعن: هو الطرد من رحمة الله، وبعد أن طرد الله إبليس من رحمته، أقسم اللعين مهددًا فقال: وعزتك وجلالك يا رب لأغوين وأُضِلَّن من عبادك قسمًا كبيرًا معلومًا مقدرًا، وهذا النصيب هم من أتباع الشيطان الذين ورد ذكرهم في الحديث الصحيح.

[١١٩] ثم وَاصَلَ عدو الله إبليس تبجحه فأقسم أن يصرف قسمًا من الناس عن الحق، وعن عبادة الله وحده، وأن يعدهم بكثرة الأماني الكاذبة، وأن يأمرهم بتقطيع آذان الأنعام وتشقيقها، وهي دعوة لتغيير أحكام الله؛ فيحللون الحرام ويحرمون الحلال، وأن يغيروا خلق الله والفطرة التي فطر الناس عليها، ومن ذلك ما نشاهده من كثرة البدع والشرك والمعاصي المنتشرة اليوم؛ كالوشم والنمص والخصاء، وسعي الرجل إلىٰ تحويل نفسه إلىٰ أنثىٰ، والأنثىٰ تسعىٰ للتحويل إلىٰ رجل، وغير ذلك مما يطول، واعلموا أيها الناس أن من يستجيب لهذا الشيطان، ويجعله ناصرًا له من دون الله؛ فقد هلك هلاكًا كبيرًا واضحًا.

قال عالم الإعجاز القرآني الشيخ عبدالمجيد الزنداني معلقًا علىٰ هذه الآية: إذا نجح الباحثون في الغرب في الاستنساخ البشري؛ فإن هذه الآية تنطبق عليهم.

ولا شك أنها تنطبق عليهم؛ سواء نجحوا أم لم ينجحوا؛ لأنهم يسعون في تغيير خلق الله، وليس بعد الكفر ذنب.

[١٢٠] واعلموا أيها الناس أن هذا الشيطان اللعين يعد أولياءَه وأتباعه بالوعود الكاذبة والأماني الباطلة، وما يعدهم هذا اللعين إلا تغريرًا ومخادعة لهم.

[١٢١] ثم بين جلّ وعلا أن أولئك الذين يتبعون الشيطان سوف يكون مصيرهم ومستقرهم نار جهنم، لا نجاة ولا مهرب لهم من عذابها.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ
أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ
مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ
فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ
وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

[١٢٢] يخبر جل وعلا أنه وعد الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات أن يدخلهم حدائق وبساتين تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يتمتعون فيها دائمًا وأبدًا، وهذا وعد من الله، ووعدُ الله لا يكون إلا حقًّا؛ لأنه لا أحد أصدقُ منه حديثًا أو قولًا.

[١٢٣] ثم بين جل وعلا أن الوصول لرضوان الله ودخول الجنة ليس كما يتمنىٰ هؤلاء المشركون الذين يعلقون أملهم في دخول الجنة علىٰ أوثانهم، ولا كما يتمنىٰ اليهود والنصارىٰ الذين يعلقون أملهم علىٰ أنبيائهم في الشفاعة لهم؛ وإنما الأمر أنَّ من يعمل سيئة يُجْزَ بها، وَيَنَلْ عقابه عليها، ولن يجد له أحدًا غير الله يتولىٰ أمره، ولا نصيرًا يمنعه من عذاب الله تعالىٰ.

[١٢٤] واعلموا أيها الناس أن من يعمل الأعمال الصالحة؛ سواء كان ذكرًا أو أنثىٰ، وهو مؤمن بالله مخلصًا له في العبادة؛ فهؤلاء سوف يدخلون يوم القيامة الجنة، ولا يظلمون شيئًا، ولو كان نقيرًا، أي: ولو كان شيئًا يسيرًا بحجم النقرة التي تكون في ظهر النواة.

[١٢٥] يخبر جل وعلا أنه لا أحد أفضل وأحسن دينًا ممن توجه بعبادته إلىٰ الله خاضعًا له، وهو مؤمن موحد لله سبحانه، ومتبع لدين إبراهيم عليه السلام، وهو دين النبي محمد ﷺ، وهو دين الحق والاستقامة، واعلموا أن الله اصطفىٰ إبراهيم عليه السلام بالرسالة والنبوة، واتخذه خليلًا. وفي هذه الآية إثبات صفة الخلة لله، وهي أعلىٰ درجات المحبة، منحها الله لإبراهيم عليه السلام، كما منحها أيضًا لنبينا محمد ﷺ.

[١٢٦] واعلموا أن لله وحده جميع ما في السماوات والأرض من جن وإنس وملائكة وغيرها من المخلوقات، وأنه محيط بكل ما يقع منهم، لا تخفىٰ عليه خافية من شئون عباده، وسوف يجازيهم علىٰ أعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

[١٢٧] واعلم يانبي الله أن أصحابك يطلبون منك أن تبين لهم الأحكام التي تتعلق بالنساء، كالإرث والصداق ونحو ذلك، فقل لهم: أبشروا فإن الله سوف يبين لكم جميع الأحكام المتعلقة بهن، وقد بين لكم سبحانه في الكتاب ما يتلىٰ عليكم في شأن يتامىٰ النساء اللاتي تريدون نكاحهن، ولا تعطونهن ما فرض الله لهن من الصداق كما يجب؛ حيث بين الله لكم أن من كانت تحت ولايته يتيمة غير حسنة الخلقة لا يرغب في نكاحها، فليعطها مالها وليزوجها غيره، كما قيل:

لكل ساقطة في الحي لاقطة وكل كاسدة يومًا لها سوق

وله أن يتزوج هو من شاء من النساء، ولا يحل له أن يحبسها في بيته طمعًا في ميراثها، وإن كانت جميلة وأراد أن يتزوجها فليعطها مهر مثيلاتها من النساء ولا يبخس منه شيئًا، ويفتيكم سبحانه أيضًا: في الضعفاء من الأولاد الصغار؛ حيث يأمركم أن تعطوهم حقوقهم من الميراث كاملة إذا رشدوا، ويأمركم أن تعدلوا بين اليتامىٰ في الميراث والصداق؛ سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، واليتامىٰ هم: الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، واعلموا أيها المؤمنون أن كل ما تفعلونه من الخير فإن الله كان به عليمًا، لا يخفىٰ عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه سبحانه خير الجزاء.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ
وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ
بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا
كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن
قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا
١٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
١٣٢ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ
ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤

[١٢٨] ثم ذكر جل في علاه بعض الأحكام المتعلقة بالنساء، فقال سبحانه: إذا رأت المرأة من زوجها جفاءً أو أذىً أو إعراضًا عنها، وعدم مجامعتها ومجالستها ومؤانستها؛ فلا إثم ولا حرج على الزوجين أن يصلحا بينهما صلحًا يتفقان فيه على إنهاء الخلافات الزوجية، واستمرار المحبة والمودة الزوجية؛ سواءً اصطلحا هما من غير وسيط أو اتخذا حَكَمًا من أسرتيهما، ولا شك أن الصلح خير وأفضل من الإعراض والتخاصم، واعلموا أن النفوس جبلت على الشح والبخل وهو الحرص على حظ النفس، فإن تحسنوا أيها الرجال العشرة والصحبة وتتقوا الله بالبعد عن الجور والميل؛ فإن الله عالم بما تعملون، وسيجازيكم على أعمالكم.

وفي هذه الآية حث للزوجينِ على أن يصبر كل واحد منهما على الآخر، ويتحمل ما يقع منه من أخطاء أو تقصير، وفي حالة حدوث مشكلة يجب عليهما حلها بهدوء، وأن يتنازل كل واحد منهما للآخر، وأن يتصالحا بينهما؛ فإن الصلح فيه خير كثير كما أخبر سبحانه بذلك.

[١٢٩] ثم أخبر جل وعلا أنكم لن تقدروا أيها الرجال على العدل بين النساء في المحبة القلبية؛ لأنكم لن تقدروا على كبح ميل القلب، ولو بذلتم الجهد في ذلك؛ لذا عليكم أن لا تبالغوا في الميل إلى التي تحبون في النفقة والقسمة ميلًا كبيرًا، وتتركوا الأخرى كأنها معلقة في النفقة والمبيت، كالتي ليس لها زوج، واعلموا أيها الأزواج أنكم إن تصلحوا وتتقوا الله وتعدلوا في القسمة بين زوجاتكم؛ فإن الله سوف يغفر لكم ما وقع منكم من جور في المحبة القلبية نحو نسائكم، وسوف يرحمكم سبحانه كما رحمتم زوجاتكم.

[١٣٠] ثم وعد جلّ وعلا الزوجين اللَّذَيْنِ لم يوفقا للصلح، وانتهت العلاقة بينهما بالفراق؛ فإن الله جل في علاه سوف يغني كلًّا منهما عن الآخر، واعلموا أن الله كثير الفضل، واسع الرحمة بعباده، حكيم في تشريعه وأحكامه.

[١٣١] ثم ذكَّر جل وعلا عباده أنَّ له وحده ملك جميع ما في السماوات والأرض، وما دام أن الأمر كذلك فإنه غير متعذر عليه سبحانه أن يرزق الزوجين الذين افترقا من سعته، ثم أخبر سبحانه أنه وصى اليهود والنصارى ومن سبقهم من الأمم بما وصى به المسلمين، وهو تقوى الله، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه؛ فإذا جحدتم وحدانية الله وعبادته؛ فاعلموا أن لله جميع ما في السماوات والأرض، ولن يضره سبحانه كفركم وجحودكم، وكان الله ولم يزل غنيًّا عنكم وعن أعمالكم، حميدًا سبحانه في صفاته وأفعاله.

[١٣٢] ثم أعاد جل وعلا وكرر أن له وحده ملك جميع ما في السماوات وما في الأرض، فهو المدبر لهما، وكفى به سبحانه أن يكون هو المتولي أمر الكون لينتظم بأمره.

[١٣٣] ثم بين جل وعلا أنه قادر على إفنائكم من الوجود، وايجاد قوم آخرين من البشر غيركم، يكونون أكثر منكم عبادة وطاعة لله، وهو سبحانه قادر على كل ذلك، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[١٣٤] ثم بين جل وعلا أن من كانت همته وإرادته بعمله ثواب الدنيا وحدها، ولا يريد ثواب الآخرة؛ فإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة؛ فليطلب منه جلّ في علاه ما شاء من خيري الدنيا والآخرة فإن الله غني كريم، وإنه سبحانه سميعٌ لأقوال عباده، بصيرٌ بجميع أمورهم وأحوالهم.

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا
فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ
أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ
كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

[١٣٥] يأمر جلّ وعلا عباده المؤمنين أن يقوموا بالعدل في كل شيء، وأن يؤدوا الشهادة لله بالحق ولو كانت على أنفسهم، أو على أبائهم وأمهاتهم، أو على أقاربهم، ويحذرهم أن يمتنعوا من أداء الشهادة، سواءً كان المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا، فإن الله أولى باللطف بهما منكم، وأعلم بما فيه صلاحهما، فلا يحملنكم الهوى وشهوات النفس والتعصب على ترك العدل، وإذا حرفتم الشهادة وأتيتم بها على غير حقيقتها، أو تركتموها؛ فاعلموا أن الله كان بما تعملون خبيرًا، يعلم أعمالكم خفيها وجليها وسيجازيكم عليها.

[١٣٦] ياأيها الذين آمنوا اثْبُتُوا على إيمانكم واعتقادكم، وصدقوا رسولكم ﷺ الذي أنزل الله عليه القرآن، وآمنوا بكل الكتب السماوية التي أنزلها الله من قبل على الأنبياء والمرسلين، واعلموا أن من يكفر بالله تعالى، وملائكته المكرمين، وكتبه التي أنزلها لهداية الناس وإرشادهم، ورسله الذين اصطفاهم من بين سائر الخلق لتبليغ رسالته، واليوم الآخر الذي هو يوم الجزاء والحساب؛ فقد ابتعد عن طريق الحق والهدى ابتعادًا كبيرًا، وخرج من دين الله تعالى.

[١٣٧] ثم أخبر جلّ وعلا أن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله ﷺ، ثم جحدوا دين الله، ثم رجعوا إلى الإيمان، ثم جحدوا مرة أخرى، ثم أصرُّوا على الكفر واستمروا فيه؛ فاعلموا أن هؤلاء المنافقين الذين اتصفوا بهذه الصفة لن يغفر الله لهم، ولن يهديهم طريقًا ينجون به ويَسْعَدُونَ به في الدنيا والآخرة.

[١٣٨] ثم أمر جلّ وعلا نبيه ﷺ أن يبشر المنافقين بالعذاب الأليم في نار جهنم؛ لأنهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

[١٣٩] ثم بين جل وعلا سبب تبشير المنافقين بالعذاب الأليم؛ فأخبر أنهم يعطون محبتهم ونصرتهم وولاءهم للكافرين، ويتركون ولاية المؤمنين، فهل يطلب هؤلاء العزة والمنعة والغلبة من الكافرين؟؛ فاعلموا أنهم لا يملكون ذلك؛ لأن العزة والقوة والمنعة لله سبحانه وحده؛ فمن أعزه الله عزَّ، ومن أذله ذلَّ.

[١٤٠] واعلموا أيها المؤمنون أن الله بين لكم في كتابه العزيز أنه يجب عليكم عند حضور مجالس الكفر والمعاصي وسمعتم في هذه المجالس من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها؛ فلا تستمروا في الجلوس معهم حتى يخوضوا في حديث غيره؛ فإذا قعدتم معهم مع كفرهم واستهزائهم بآيات الله تعالى فإنكم تكونون مثلهم في الكفر؛ لأن السامع الراضي شريك المتكلم، ويستثنى من ذلك إذا كان الجالس أحد العلماء ويريد أن يفند مزاعم وتشكيك هؤلاء الكفار، ويرد على شبههم، واعلموا أن الله سيجمع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا؛ لينالوا فيها سوء العذاب؛ بسبب كفرهم وعنادهم.

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ
هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤١] واعلموا أيها المؤمنون أن المنافقين ينتظرون ما يحدث لكم من خير أو شر؛ فإذا منَّ الله عليكم بالنصر وحصلتم على المغانم، قالوا: ألم نكن معكم فنؤازركم؟! فأعطونا نصيبنا من الغنيمة، وإذا كان للكافرين ظهور ونصر عليكم، قالوا للكافرين: ألم نساعدكم ونخذِّل المؤمنين عنكم؟ فأعطونا نصيبنا من الغنيمة؛ فأخبر جلّ وعلا أنه سوف يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، ثم بين سبحانه أنه لن يجعل للمنافقين والكافرين على المؤمنين طريقًا واستيلاء وغلبة وحجة لإفنائهم واستئصالهم بالكلية، وما يحدث من نصر وغلبة للكافرين على المؤمنين أحيانًا فهذا له أسبابه وهو من الابتلاء، ولكن تكون العاقبة في النهاية للمتقين.

[١٤٢] ثم بيَّن جل وعلا أن المنافقين يظنون أنهم يخادعون الله، ويخفون عنه حقيقة أمرهم، والحقيقة أن الله خادع لهؤلاء المخادعين لا محالة، وقد قلنا: إن الخادع والمخدوع تحتمل المدح وتحتمل الذم، فلذا لا يصح أن تطلق على الله إلا بعد أن يُذكر الذي قبلها أو يضاف بعدها كلمة: (المخادعين)؛ فيقال مثلًا: (الله خادع المخادعين)؛ حتى يُعلم أنه جل وعلا خدعهم بحق، ثم أخبر جلّ وعلا أن من صفات المنافقين السيئة: أنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا متثاقلين بدون رغبة فيها، ويقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ومخادعة المؤمنين، ومن صفاتهم السيئة: أنهم لا يذكرون الله إلا ذكرًا قليلًا لإيهام المؤمنين أنهم منهم.

[١٤٣] ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المنافقين من شأنهم التردد والحيرة والاضطراب، فهم مترددون بين الكفر والإيمان، فإذا كانوا مع المؤمنين أظهروا الإيمان، وإذا كانوا مع الكافرين أظهروا النفاق، واعلموا أن من يضله الله ويصرف قلبه عن الإيمان به جزاء إصراره على الكفر؛ فلن تجد له طريقًا لهدايته.

وإضلال الله لهؤلاء المنافقين هو إضلال جزائي لا ابتدائي، وهو مبني على ضلالهم الاختياري، لأن الله جعل العبد مختارًا ولم يجبره؛ فاختار الشك والحيرة والضلال على الهدى؛ فثبته الله على ما اختار.

[١٤٤] ثم نهى جلّ وعلا عباده المؤمنين أن يتشبهوا بأقبح صفة من صفات المنافقين، وهي موالاة الكافرين، ويتركوا موالاة إخوانهم المؤمنين، فهل تريدون أيها المؤمنون أن تجعلوا لله حجةً واضحة عليكم بموالاتكم لهم فتكونوا مثلهم فينالكم عذاب الله؟

[١٤٥] ثم بين جلّ وعلا أن المنافقين بسبب نفاقهم وكفرهم جعلهم الله في أسفل منازل النار، وأحط دركاتها يوم القيامة، ولن تجد لهم ناصرًا يدفع عنهم العذاب؛ وهذا العذاب الشديد لهؤلاء المنافقين لأن ضررهم أكبر من ضرر الكفار.

[١٤٦] ثم بيَّن جل وعلا أن الذين تابوا من النفاق، وعملوا العمل الصالح، والتجؤوا إلى الله وحده، وعبدوه مخلصين له الدين بدون رياء ولا سمعة؛ فأولئك سوف يحشرهم الله مع المؤمنين يوم القيامة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثوابًا عظيمًا جزاء إيمانهم وعملهم الصالح.

[١٤٧] ثم بيَّن جل وعلا جانبًا من جوانب رحمته بعباده؛ فأخبر أن فضل الله وحكمته أجلُّ وأسمى من أن يعذبكم أيها الناس إذا آمنتم بالله وشكرتموه على نعمه، واعلموا أن الله سبحانه شاكر لعباده طاعتهم وعبادتهم، وأنه يجازيهم عليها يوم القيامة، وهو سبحانه عليم بأحوالهم ظاهرها وباطنها.

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا
عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

[١٤٨] بين جلّ وعلا أنه لا يحب قول السوء ولا يحب الجهر به إلا لمن وقع عليه ظلم؛ فيباح له أن يشكو ظالمه، وكان الله ولم يزل سميعًا لكلام المظلوم، عليمًا بظلم الظالم.

[١٤٩] واعلموا أيها الناس أنكم إذا أظهرتم أعمال الخير، أو أخفيتموها، أو عفوتم عمن أساء إليكم ابتغاء مرضاة الله؛ فإن الله كثير العفو عمن عفا، مع قدرته سبحانه على الانتقام من الظالم.

[١٥٠] ثم أخبر جل وعلا أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله؛ مثل اليهود الذين آمنوا بموسى، ولم يؤمنوا بعيسى ولا محمد ﷺ، ومثل النصارى الذين آمنوا بعيسى، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعضهم، ويريدون بقولهم هذا أن يتخذوا بين الكفر والإيمان طريقًا وسطًا، وهذا لا يمكن؛ فإما الكفر وإما الإيمان.

[١٥١] ثم أخبر جل وعلا أن من كان هذا شأنهم وهذه أوصافهم القبيحة، -أي: يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعضهم-؛ فقد حكم الله عليهم بالكفر الحقيقي، وأعد لهم سبحانه عذابًا أليمًا إهانة وخزيًا لهم.

[١٥٢] ثم أخبر جل وعلا أن الذين يؤمنون بكل ما أخبر الله به، وبكل ما جاءت به الرسل، ولم يفرقوا بين أحد من الرسل؛ بل آمنوا بهم كلهم؛ فأولئك سوف يؤتيهم الله جزاء إيمانهم الأجور العظيمة، وكان سبحانه غفورًا لذنوب عباده، رحيمًا بهم.

[١٥٣] يسلي جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ فأخبر أن أهل الكتاب من اليهود يسألونه أن يُنَزِّلَ عليهم صحفًا من عنده مكتوبة تدل على نبوته وصدق رسالته، فأخبره سبحانه أن لا يتعجب من سؤالهم؛ فقد سأل أسلافهم موسى عليه السلام أكبر من ذلك، فقالوا: أرنا الله عيانًا؛ فعاقبهم سبحانه بصاعقة أهلكتهم؛ بسبب ظلمهم وعنادهم ثم أحياهم، وأيضًا اتخذوا العجل من دون الله بعد أن عاينوا معجزات موسى عليه السلام لفرعون وقومه، ومع ذلك فقد عفا الله عنهم بعد أن أحياهم بعد الصعقة وأنابوا إليه، ثم بين سبحانه أنه أيد موسى عليه السلام بالحُجة والبيان الذي يدلُّ على صدق نبوته.

[١٥٤] ثم أخبر جل وعلا أنه رفع فوق رؤوس بني إسرائيل جبل الطور عندما امتنعوا من قبول شريعة التوراة، والالتزام بالميثاق الذي أُخِذَ عليهم، وعندما أُمِرُوا بدخول بيت المقدس خاضعين متواضعين فدخلوا وهم يزحفون على أستاهِهِم، أي: التي يجلسون عليها، ويقولون على سبيل الاستهزاء: (حبةٌ في شعيرة) بدلا من (حطة)، أي: حط عنا خطايانا، وعندما أُمِرُوا أن لا يصطادوا السمك في يوم الراحة وهو يوم السبت فاعتدوا عليه وصادوه يوم السبت بحيلة؛ حيث وضعوا الشباك وعملوا الحفر يوم السبت فوقع السمك فيها، ثم أخذوه يوم الأحد؛ مع أن الله أخذ منهم عهدًا مؤكدًا في أن لا يصطادوا يوم السبت، ولكنهم نقضوه.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

[١٥٥] ثم بين جل وعلا أن من أسباب لعن الله لليهود وإذلالهم وغضب الله عليهم: نقضهم للعهود والمواثيق، وجحودهم لآيات الله ومعجزات الرسل، وقتلهم الأنبياء ظلمًا بغير برهان، وقولهم للنبي ﷺ: قلوبنا عليها غطاء؛ فرد سبحانه عليهم وبين أن الأمر ليس كما زعموا؛ بل ختم الله عليها؛ فلا تفهم الرشد، ولا تعي الإيمان؛ بسبب رفضهم الهدىٰ وإصرارهم علىٰ الكفر؛ ولهذا لم يؤمن منهم إلا عدد قليل، مثل: عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، وغيرهم، وهذا الطبع هو طبع جزائي وليس ابتدائي.

[١٥٦] وبين جل وعلا أن من أسباب لعنهم وإذلالهم وغضب الله عليهم أيضًا: كفرهم بعيسىٰ عليه السلام، واتهامهم لمريم عليها السلام بفحاشة الزنا؛ لأنها ولدت عيسىٰ عليه السلام من غير أبٍ، وقد برأها الله، واصطفاها، وفضلها علىٰ نساء العالمين في زمنها.

[١٥٧] وبين جل وعلا أن من أسباب لعنهم وإذلالهم وغضب الله عليهم أيضًا: ادعاءَهم علىٰ سبيل الافتخار أنهم قتلوا رسول الله المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام؛ بل عزمهم وإقدامهم علىٰ ذلك، والحقيقة أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكنهم قتلوا شبيهًا له في شكله، ثم بين سبحانه أن من ادَّعىٰ قَتْلَ عيسىٰ ابن مريم من اليهود، ومن أَسْلَمَهُ إليهم من النصارىٰ؛ كلهم واقعون في شك وحَيْرَة دائمة، ولا عِلْمَ لديهم في حقيقة من قتلوه إلا اتباع الظن الذي لا يقوم عليه دليل ولا برهان، ثم بين سبحانه أنهم غير متيقنين من قتله؛ بل إنهم شاكُّون في ذلك.

[١٥٨] ثم أكد جل وعلا عدم قتل عيسىٰ عليه السلام من قبل اليهود؛ فأخبر أنه رفعه إلىٰ السماء ببدنه وروحه، وبهذا يكون عليه السلام نجا من شرهم وكيدهم، وأنه سوف ينزل في آخر الزمان ويحكم بشريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بين سبحانه أنه كان ولم يزل عزيزًا يعز من يلجأ إليه وينصره ويحميه، حكيمًا في تدبيره لشئون خلقه.

[١٥٩] ثم أخبر جل وعلا أن الأحياء من اليهود والنصارىٰ الموجودين حين نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان وقتله الدجال، سوف يرونه ويؤمنون به قبل موته، ثم أخبر سبحانه أن عيسىٰ عليه السلام سوف يشهد عليهم يوم القيامة أنه بلغهم رسالة الله، وأنه عَبْدُ الله ورسوله، وأن اليهود كذبوه، والنصارىٰ عبدوه.

[١٦٠] ثم بين جل وعلا أنه بسبب ظلم اليهود واعتدائهم حرم عليهم كثيرًا من الطيبات التي كانت حلالًا عليهم، وأيضًا بسبب منعهم كثيرًا من الناس من الهدىٰ، ومن الدخول في دين الله وهو الإسلام.

وقد ذكر سبحانه أن هذه المحرمات هي من الآصار والأغلال التي كانت عليهم، فجاء ﷺ ورفع عنهم هذه الآصار والأغلال؛ لكنهم عاندوا واستكبروا وبقوا علىٰ دينهم وضلالهم، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧].

[١٦١] وبين جل وعلا أيضًا أنه حرم عليهم كثيرًا من الطيبات بسبب أكلهم الربا، وقد نهاهم الله عنه في التوراة، وأيضًا بسبب أكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة في الحكم وغيره، ثم أخبر سبحانه أن الجاحدين لدين الله من هؤلاء اليهود أعد الله لهم عذابًا مؤلمًا في الآخرة.

[١٦٢] ثم مدح جل وعلا أولئك الذين ثبت العلم في قلوبهم من اليهود، والمصدقين بالله ورسوله، والذين آمنوا بهذا القرآن الذي أنزله الله علىٰ نبيه محمد ﷺ، وآمنوا بما أنزل الله علىٰ الرسل من قبل محمد ﷺ؛ كالتوراة والإنجيل وغيرها، ويحافظون علىٰ الصلاة في أوقاتها، ويؤدون الزكاة المفروضة عليهم، ويؤمنون بالله وباليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء وغير ذلك، ومن كانت هذه صفاتهم سوف يعطيهم الله ثوابًا عظيمًا، وهو جنة عرضها السماوات والأرض.

وفي قوله: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، نصب علىٰ المدح، أو علىٰ التخصيص؛ لقصد الاهتمام بالصلاة، أي: إن المقيمين للصلاة والمحافظين عليها سوف نؤتيهم أجرًا عظيمًا، وذلك لأهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام.

* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
١٦٥ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ
مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠

[١٦٣] يخبر جلّ وعلا أنه أوحىٰ إلىٰ محمد ﷺ أن يبلغ رسالة ربه كما أوحاها إلىٰ نوح عليه السلام وإلىٰ النبيين الذين جاءوا من بعده، وكذلك أوحاها إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهارون وسليمان عليهم السلام أجمعين، ثم أخبر سبحانه أنه أعطىٰ داود عليه السلام كتابًا اسمه الزّبور، وهو عبارة عن صحف مزبورة، أي: مكتوبة، وقد جمعت فيها المواعظ والحِكَمُ والتحميد والتقديس والثناء علىٰ الله. والمقصود من الآية: أن نبينا محمدًا ﷺ ليس بدعًا من الرسل الذين قبله.

[١٦٤] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل رسلًا كثيرين، ذَكَرَ سبحانه بعضهم للنبي ﷺ وما جرىٰ لهم مع أقوامهم، للاعتبار والاتعاظ، وتسلية له ﷺ، وأرسل أيضًا رسلًا ولكن لم يذكرهم له ﷺ ربما اكتفاءً بالمذكورين، ثم أخبر سبحانه أنه خاطب موسىٰ عليه السلام مخاطبة حقيقة من غير واسطة، وبكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه، وهذا تشريف له عليه السلام، ولذلك اشتهر موسىٰ عليه السلام عند الناس بقولهم: موسىٰ كليم الرحمن. وفي هذه الآية إثبات صفة الكلام لله عز وجل كما يليق بجلاله، بخلاف ما تعتقده المعتزلة وفرقٌ أخرىٰ بدعوىٰ أن التكلم يستلزم لسانًا وشفتين، وجهلوا أن الله يتحدث عن نفسه لا عن إنسان؛ فهو ليس كمثله شيء في كل صفة من صفاته.

[١٦٥] ثم بين جل وعلا أنه أرسل هؤلاء الرسل مبشرين بالثواب لمن أطاع الله ورسوله، ومنذرين بالعقاب الشديد لمن عارض وعاند؛ حتىٰ لا يكون للناس حجة فيعتذرون ويقولون: ما جاءنا من نذير ولا بشير، وكان الله ولم يزل عز وجل عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبير شؤون خلقه.

[١٦٦] وإذا كان هؤلاء اليهود يانبي الله لم يشهدوا لك بالنبوة، فإن الله يشهد أنك نبيه ورسوله الذي أنزل عليك هذا القرآن العظيم الذي يشهد بنبوتك، وأنه أنزله عليك بعلمه واطلاعه، وأيضًا الملائكة يشهدون أنك نبي الله ورسوله، واعلم أن شهادة الله وحدها كافية؛ فهو سبحانه خير الشاهدين، وإن لم يشهد أحد لك.

[١٦٧] ثم أخبر جلّ وعلا أن الذين جحدوا نبوتك يارسول الله، وجحدوا دين الله، ومنعوا غيرهم من الدخول في دين الله بكافة السبل؛ قد أجرموا وبعُدوا عن الحق بعدًا كبيرًا.

[١٦٨] ثم أكد جل وعلا مرة أخرىٰ أن الذين جحدوا نبوتك يامحمد، وجحدوا دين الله، وظلموا بصدهم الناس عن دين الله، واستمروا علىٰ الجحود والظلم، لم يكن الله ليغفر لهم ذنوبهم؛ لأنهم أصروا علىٰ الكفر والمحاربة؛ فطبع الله علىٰ قلوبهم؛ وبسبب إصراهم لن يدلهم الله علىٰ طريق الحق الذي ينجيهم.

[١٦٩] ثم بين جل وعلا أنه سوف يدلهم علىٰ طريق واحد فقط، وهو الطريق المؤدي إلىٰ جهنم، التي أوجبها الله لكل من كفر بدين الله ومات علىٰ ذلك، وأنهم سوف يمكثون فيها أبد الآبدين، وكان ذلك علىٰ الله سهلًا يسيرًا؛ لأنه لا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء.

[١٧٠] يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالإسلام دين الحق من عند ربكم، فآمنوا بالله إيمانًا حقيقيًّا، وصدقوا برسوله وبما جاء به ﷺ؛ يكن خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، وإن جحدتم وأعرضتم فإن الله الذي له جميع ما في السماوات والأرض غني عنكم وعن إيمانكم، وكان سبحانه ولم يزل عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبير شئونهم.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ
وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ
إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا
١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي
رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥

[١٧١] ثم يخاطب جلَّ وعلا النصارىٰ، فيأمرهم: أن لا تتشددوا في دينكم، ولا تتجاوزوا الحد المشروع والمسموح به، ولا تقولوا علىٰ الله إلا الحق، ومن ذلك أنه ليس لله ولد ولا زوجة ولا شريك، وأن عيسىٰ ابن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله، وقد خلقه الله بكلمة: ﴿كُن﴾؛ حيث نفخ جبريل عليه السلام في جيب مريم بأمر الله؛ فالواجب عليكم أن تؤمنوا بالله وحده لا شريك له، وأن تؤمنوا برسله وبما جاءوا به من الدلائل والبراهين والآيات البينات، ولا تقولوا: آلهتنا ثلاثة، يعني: قولكم: الله وصاحبته وابنه، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وانتهوا عن هذا القول وابتعدوا عنه خيرًا لكم مما أنتم عليه من الكفر والضلال، واعلموا أن الله هو الإله الواحد الأحد الوتر الصمد، تنزّه وتقدس عن أن يكون له ولد؛ ولأن جميع من في السماوات والأرض تحت ملكه وتصرفه؛ فتوكلوا عليه، وكفىٰ بالله وكيلًا.

[١٧٢] يخبر جل وعلا أن المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه السلام لن يأنف أو يتكبر أن يعترف أنه عبد من عباد الله، وكذلك لن يمتنع الملائكة الكرام من الإقرار بالعبودية لله، واعلموا أيها الناس أن من يمتنع عن عبادة الله وحده ويرغب عنها؛ فسيجمع الله الخلق جميعًا يوم القيامة، ويحكم بينهم بالعدل، وسيجازي كلًّا بما يستحق؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وسيجد المستكبر عن دين الله الصَّغار والمهانة والعذاب الشديد.

[١٧٣] ثم أخبر جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة؛ سوف يوفيهم جزاء أعمالهم أجورًا عظيمة، ويدخلهم جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، ويزيدُهم من فضله بأن يرضىٰ عنهم، ثم يرون وجهه الكريم جل في علاه، وأما الذين امتنعوا ورغبوا عن طاعة الله، واستكبروا عنها، ولم يذعنوا لها، فقد أعد الله لهم عذابًا شديد الإيلام، لن يدفعه عنهم مُعِين، ولن يمنعهم منه نصير.

[١٧٤] ياأيها الناس قد جاءكم من ربكم حجج ودلائل واضحة، جاء بها محمد ﷺ، وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا وهو القرآن الكريم، وهاديًا بإذن ربه وصراطًا مستقيمًا.

[١٧٥] ثم أخبر جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسوله، واستمسكوا بالقرآن الذي بين أيديهم؛ وتمسكوا بدينهم؛ فسيدخلهم ربهم في خير ونعمة منه سبحانه وفضل كبير، وهي الجنة، ويوفقهم إلىٰ طاعته والعمل الصالح، والطريق المستقيم الموصل الىٰ مرضاته.